

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

قسم التاريخ

معهد العلوم الاجتماعية
والإنسانية

المرابطون ونشرهم الإسلام في السودان الغربي

430هـ - 538هـ / 1039م - 1143م

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إشراف الأستاذ:
غرايسه عمار

إعداد الطلبة:
- فرحات عيسى
- شلالبة توفيق
- دادي مصطفى

لجنة المناقشة: 1 - أ / غانية البشير.....رئيسا
2 - أ / غرايسه عمار.....مشرفا ومقررا
3 - أ / جعفري امبارك.....مناقشا

السنة الدراسية: 1433 هـ - 1434 هـ / 2011م - 2012م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿رب هب لي من الصالحين﴾

سورة الصافات الآية 100

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أرجوا من الله تعالى أن يوفقنا و يتقبله منا.
أهدي هذا العمل البسيط إلى روح والدي الذي فارقتنا في بداية هذه السنة الجامعية عليه
رحمة الله وأسكنه فسيح جنانه وإلى روح جدتي خديجة رحمها الله.
إلى أمي، شفاهها الله و التي ما تعبت قط في الحرص على شحذ همتي ودفعي و
تشجيعي على دراستي طوال مشواري ...

إلى كل من علمني من الابتدائي والمعهد التكنولوجي إلى الجامعة
إلى أخي الأكبر بابا العيد الذي ساندني و رعاني حتى اشتد ساعدي وفرع عودي
ومازال ...

إلى أختي الغالية فاطمة الحريصة الدائمة علينا... الله يجزيها عنا خير ثواب في الدنيا و
الآخرة.

إلى زوجتي العزيزة آمال التي هي خير معين و صاحبة القلب الكبير أدامها الله لي...
إلى أخي الطيب و إبراهيم و زوجات إخوتي خديجة و آمال ورحمة، أدام الله برهن...
إلى أبنائي خديجة و عمر عبد الرحمان و محمد العربي وسارة...
إلى أبناء إخوتي مريم وبهاء الدين ولينا و أنس و محمد الصالح...
إلى عمي بشير و زوجته و أبنائه و بناته و أحفاده ...

إلى عمتي نانة وابنها علي و زوجته وأبناءه وبناته...
إلى أخوالي عبد القادر و عبد الهادي وزوجاتهم وأبناءهم وبناتهم و زوجة المغفور له
خالي الساسي و أولاده وبناته...
إلى خالتي عائشة و زوجها و أولاده وبناته...
إلى عائلة زوجتي الجدة مبروكة و الحاج محمد والحاجة فجرة و أبنائهم وبناتهم
وآزواجهم وأحفادهم...

إلى أصدقائي بن سالم، عمار، بدر الدين، محمد، حسين، فتحي، أحمد، عبد العاطي، نور
الدين، إسماعيل، توفيق، مصطفى، عبد الكريم، جلول، عبد الخالق، سعد، إبراهيم،
م. إبراهيم، معمر، عبد القادر، أيوب، عبد الوهاب، عبد الناصر، عبد الله، بومدين...
إلى من ساعدني أحمد بن خليفة ، بقاص عبد المالك، علي، حمزة ...
إلى كل زملاء الدراسة....
إلى كل أقاربي و جيراني
إلى كل من أسهم في دخول شبكة الإنترنت إلى الجزائر ...

عيسى فرحات

الإهداء

ما أسرع قلبي في يدي..... وأسعد قلبي في صدري.....

حين اكتب هذا الإهداء.....

إلى ابتسامتك الحلوة التي تطلع شمسها و تشرق كل يوم ، لقلبك الحنون الذي

يغمرنى وأنا لا أزال في نعومة أظفاري ، إلى التي فارق الكرى جفونها

من اجلي ولإسعاديأمي الحنون .

إلى الذي غرس في حب العمل وظل ينمو وينمو إلى أن أثمر وتفتحت أزهاره .

وفاح عبيرهأبي العزيز .

إلى الذين قاسموني أفراحي و واسوني عند اقر احي في كل لحظة وفي كل

زفرة عائلتي الكريمة .

إلى الذين رفعوا لواء العلم متحدين المصاعب ، مواجهين خلان الجهل

من اجل الجزائر ، والجزائر فقط

إلى كل هؤلاء اهدي ثمرة جهدي

الإهداء

إلى من كان سببا في وجودي، والدي الكريم تغمده الله برحمته الواسعة...

إلى أمي أطال الله في عمرها ...

إلى أخي أبوبكر فرج الله عنه ...

إلى خالي العزيز شفاه الله ، وزوجته و البنت مبروكة...

إلى أختي التي أتمنى لها كل التوفيق...

إلى زوجتي وأبنائي: سيرين، عبد القادر، محمد الصالح، نسيبة...

إلى الأستاذ المشرف و كل الزملاء في الدراسة و العمل وكل الأقارب و،

أهدي لهم ثمرة عملي وجهدي، راجيا من الله أن يكون في صالح العلم و

المعرفة.

توفيق شلالبة.

شكر و عرفان

الحمد لله على فضله وامتنانه الذي أرشدنا إلى من أخذ بيدنا في هذا العمل من عباده.
كلمة واجبة في حق من كان مرشدا و موجهها.
إلى الأستاذ جعفري الذي منحنا الفرصة طوال السنة الثالثة للعمل على بذرة هذا العمل
من خلال منحنا الوقت الكافي لذلك.
إلى واضع اللمسات الخاصة والهادفة و موجهنا خلال هذه السنة الأستاذ عمار غرايسه
الذي أمدنا بنصائحه و إرشاداته خلال العمل على فصول هذه المذكرة حتى وصلنا
المبتغى.
ونشكر أيضا جميع أساتذتنا الكرام في قسم التاريخ بجامعة الوادي.
ونشكر كل طلاب دفعة التاريخ للسنة الجامعية 1433 - 1434 هـ / 2011 - 2012م
و لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد و نتمنى لهم جميعا النجاح

شكرا.

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الرمز	المعنى
مج	مجلد
ج	جزء
ط	طبعة
(ب د ن)	بدون دار نشر
(د ط)	دون طبعة
(د س)	دون سنة
(ت ن)	تحقيق و نشر
ص	صفحة
تر	ترجمة
ع	عدد
مر	مراجعة

المقدمة

تقديم الموضوع:

شهد العالم الإسلامي من بعد قيام دولة المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقلبات جذرية في نظم الحكم والسياسة وتفسيرات عديدة لمفاهيم الخلافة و الإمامة و الولاء و البراء... الخ، وحملت هذه المفاهيم المستحدثة للنصوص جماعات تطور بعضها إلى حركات سياسية وأخرى ذهبت إلى أقصى حد وهو أنها أصبحت عسكرية. تقول كلها أنها تنتمي إلى الإسلام الأصيل النقي الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، و دائماً ما كانت متضاربة و متضادة مع سلطة الأمر الواقع في كل زمان ومكان، فبعضها قضي عليه في المهدي، وأخرى نجحت ووصل بهم المقام إلى إقامة الدولة، وحتى إعلان الخلافة الراشدة مثل الدعوة الإسماعيلية العبيدية التي أقامت الدولة الفاطمية، ودعوة المرابطين التي بنت دولة في أقصى غرب بلاد الإسلام في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ذاع سيط المرابطين و دولتهم بين المصادر والمراجع التاريخية في كونهم حركة إصلاحية فريدة من نوعها على رأي مؤيديها، وذلك من خلال ظروف نشأة الحركة و قيام هذه الدولة التي قالوا عنها أنها خدمت الإسلام خدمة جليلة وأمدت في عمر المسلمين في الأندلس قرنين وأوقفت الهجمة الصليبية على غرب العالم الإسلامي، وساهمت في نشر الإسلام في بلاد السودان، واتهمت كذلك بالتزمت و أخذ الناس بالسيف على اعتناق الإسلام والمذهبية من خلال آراء منتقديها، ولعله من خلال هذه الدراسة حاولنا إلقاء

نظرة على " المرابطين ونشرهم الإسلام في السودان الغربي ".

ضم عملنا هذا فصل تمهيدي عرضنا فيه أوضاع بلاد المغرب و الصحراء بشكل عام قبيل قيام دولة المرابطين، ثم فصل أول بين فيه أوصول المرابطين وأوضاعهم قبيل قيام دولتهم، وفي الفصل الثاني وضحنا كيف انطلقت دعوة المرابطين ثم قيام دولتهم، أما في الفصل الثالث فبيننا موقع بلاد السودان الغربي و أوضاعها قبيل دخول المرابطين إليها، وفي الفصل الرابع و الأخير تعرضنا لدور المرابطين في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، وتوجنا عملنا بخاتمة وضعنا فيها مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، ودعمنا عملنا بمجموعة صغيرة من الملاحق.

دواعي اختيار الموضوع:

عند إطلاعنا على مجموعة من المراجع و المصادر تبادلنا لنا أن نشأة دعوة المرابطين ومسارها قبل قيام الدولة تتسم بعدم الوضوح والدقة فيما يخص مجرى الأحداث التاريخية والتضارب في بعض الأحيان بين المصادر المختلفة ناهيك عن المراجع، فأردنا أن نستوضح مسار قيام الدعوة المرابطية أكثر.

وكذلك عند إطلاعنا على كتابات بعض المصادر والمراجع وجدنا فيها وصف غريب لهذا المجتمع و مكانة المرأة فيه و تصرفاتها، فأردنا توضيح رؤيتنا أكثر. قرأنا لبعض الكتابات التي تقول إن المرابطين حملوا الناس بالسيف على إتباع المذهب المالكي في عموم بلاد المغرب، فأردنا أن نتعرف على مدى صدق هذه الكتابات و حقيقتها التاريخية.

حدثت مناقشة في السنة الثالثة(العام الماضي) في مقياس أفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء حول ادعاءات بعض الطرق الصوفية بأنها أول من نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي فأردنا أن نتبين حقيقة الأمر من غيره.

إشكالية الدراسة:

ما هي أوضاع بلاد المغرب الدينية والاقتصادية والسياسية قبيل قيام دولة المرابطين؟

ما هي الأسس العرقية و الدينية التي قامت عليها دعوة المرابطين ودولتهم؟

ما هو دور عبد الله بن ياسين في الدعوة؟

كيف قاد عبد الله بن ياسين المرابطين من الرباط إلى ساحات القتال؟

ما هي حدود السودان الغربي؟ و ما هي أهم معالمه التضاريسية؟

ما هي أوضاع بلاد السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين؟
ما هي إسهامات المرابطين في نشر الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي؟

دواعي اختيار حدود الدراسة:

اقتصرت حدود الدراسة المكانية على التعرف على أوضاع بلاد المغرب الإسلامي وجنوب الصحراء قبل قيام دولة المرابطين بشكل عام و أوضاع صنهاجة جنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي بشكل خاص وكيف نشأة الحركة وتطورت في جنوب الصحراء وانتقلت إلى جنوب ووسط المغرب الأقصى و كيف ساهمت بنشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، لأن هذه المناطق هي التي شدة مولد حركة المرابطين و إنشاء دولتهم لما بدؤوا بناء مراكش، وذلك تقيدا بالإشكالية المطروحة، لذلك لم نشر إلى الأحداث التي جرت في شمال المغرب الأقصى والأوسط وأحداث الأندلس إلا ما ندر، لأننا لم نشأ ذلك، تقيدا بالإشكالية المطروحة للدراسة.

أما الإطار الزمني فإننا ركزنا على نهايات أحداث القرن الرابع ثم الخامس و بدايات القرن السادس الهجري حتى منتصفه تقريبا الموافقة لنهايات العاشر ثم الحادي عشر و بدايات القرن الثاني عشرة ميلادي.

أهداف الدراسة:

- توضيح رؤيتنا للأوضاع في بلاد المغرب الإسلامي والصحراء والسودان الغربي التي سبقت قيام دعوة ودولة المرابطين.
- تصويب بعض المفاهيم المغلوطة تاريخيا و المتداولة إلى يومنا هذا في ما يخص وضع المرأة الصنهاجية الصحراوية.
- إزالة بعض من اللبس عن تاريخ نشأة دعوة المرابطين ودولتهم.
- تبيين دور المرابطين في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي وجنوب الصحراء.
- محاولة بسيطة لإثراء المكتبة المحلية و الوطنية.

المنهج المتبع:

1. المنهج الوصفي: الذي استخدمناه في وصف الأوضاع و أحوال البلاد و الحركة محل الدراسة.

2. المنهج التاريخي التحليلي: وهو الذي اعتمدنا عليه في عرض بعض الأوضاع و تبيين الخطأ من الصواب أو حتى إثارة أسئلة جديدة بالطرح، خاصة في موضوع وصف المرأة الصنهاجية عند بن بطوطة.

الصعوبات:

كانت الصعوبات موجودة في بعض مواضع الدراسة نتيجة عدم وضوح المصادر أحياناً التي مرت على بعض الأحداث المهمة ولم توفها حقها بالذكر أو التفاصيل في أحداثها أو التضارب حتى التكذيب، وهذه بعض النماذج.

- تضارب المصادر و المراجع في المعلومات و الأنساب مثل أصل البربر البرانس و أعدادهم فنجد نسخة لابن خلدون العبر ج6 ص201 تحقيق الدكتور سهيل زكار تقول أن عددهم ثلث البربر و في نسخة أخرى يستشهد بها حسن أحمد محمود في كتابه قيام دولة المرابطين ص35 أن عددهم ثلثي البربر.

- وكذلك التضارب بين بن خلدون في العبر و عبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان الذي يعتمد على الحلل الموشية لابن الخطيب في تحديد أصل صنهاجة والبرانس هل هم عرب أم بربر.

- كذلك في تحديد السنة التي التقى فيها يحيى ابن ابراهيم بالشيخ أبي عمران الفاسي بالقيروان .

- عدم ذكر أغلب المصادر لدور و تفاصيل جهاد الأمير أبي بكر بن عمر في بلاد السودان الغربي رغم طولها الزمني أكثر من 11 سنة.

التعريف بالمصادر و المراجع:

1- محمد أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (ب ط)، بيروت، 1992.

2- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة.

3- أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 ، ج 1، بيروت، 1983م.

4- عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من نو الشأن الأكبر ،مر سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 8 أجزاء، بيروت ، 1421هـ / 2000م ، ج6.

- 5- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط2، المنصورة، مصر، 1411هـ/1991م.
- 6- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983.
- 7- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي ، ط1، القاهرة، 1980.
- 8- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين، دار الوفاء لندنيا للطباعة و النشر، (ب ط)، الإسكندرية، 2001.
- 9- على الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية ، ط2، الرباط، 1411هـ/1991م،
- 10- الحسن بن محمد الوزان الفاسي أو ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد لخضر، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة، دار الغرب الإسلامي، ط2، جزاين، بيروت، 1983، ج2.
- 11- إيفان هربك وجان دافيس، تاريخ أفريقيا العام-المجلد 03 أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، المشرف على المجلد محمد الفاسي، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام(اليونسكو)حسيب درغام وأولاده، المكلس، الفصل 03، لبنان، 1994.
- 13- أحمد ابن محمد ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، ج1، بيروت، 1983م.
- 14- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم" عهد المرابطين"، مطابع فضالة، 10مج، المحمدية، 1407هـ/1987م، مج5.
- 15- جوان جوزيف، تر مختار السويفي الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، دار الكتب الإسلامية والمصري واللبناني، ط1، القاهرة و بيروت، 1404هـ/1984م.
- 16- أبو عبيد عبد الله البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (ب ط)، القاهرة، (ب س ط).
- 17- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (ب ط)، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.
- 18- أبو القاسم محمد كرو، عصر القيروان، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، ط2، دمشق، 1983.
- 19- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، ط1، القاهرة ، 1408هـ/1988.
- 20- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق ، (د ط)، القاهرة، 1990.

- 21- عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، 11 مج، بيروت، 1407هـ/1987م، مج8.
- 22- عصمت عبد الطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ/1988م.
- 23- عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، مطبعة دار بردين، باريس، 1981.
- 24- محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، الحلل الموشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ/1911م.
- 25- عبد الله أبو عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب.
- 26- الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، بدون تاريخ
- 27- الإدريسي، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس.
- 28- علي بن عبد الله (أو ابن محمد) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس.
- 29- أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954م.
- 30- عبد الله كنون، تقديم د. محمد بن عزوز. ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم و الأدب و السياسة.
- 31- أحمد ابن محمد ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط3، ج4، بيروت، 1983م
- 32- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط1 دار نهضة الشرق القاهرة، 1985
- 33 - فيج جي دي، تاريخ غرب أفريقيا، تر السيد يوسف نصر و بهجت رياض صليب، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- 34 - يحي بو عزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20. دار النشر و التوزيع، الجزائر.
- 35- يسري الجوهري، جغرافيا العالم الإسلامي، ط1، مركز الإسكندرية للطباعة و النشر، 1998،
- 36- محمد رياض، إفريقيا دراسة لمقومات، ط2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، لبنان 1973
- 37- أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي الإصطخري، المسالك و الممالك.
- 38 - زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد.
- 39- الدمشقي نخبة الدهر في عجائب البر و البحر
- 40 - ياقوت الحموي معجم البلدان ج3.
- 41 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،

تحقيق :مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية ،ط33،1جزء، بيروت / لبنان ،
1424هـ / 2004 م ،

42 القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد

43 القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.

44 عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر، تاريخ السودان.

45 ابن حوقل ، صورة الأرض.

46-عبد الله مراد "معهد البحوث والدراسات الإفريقية" جامعة القاهرة تحت عنوان
الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (خلال ق 2 – 6 هـ).

التعريف بأشهر المصادر :

1. كتاب "البيان المغرب لابن عذارى المراكشي" : يعد من أهم الكتب التي تؤرخ
لتاريخ المغرب الإسلامي و الجزء الرابع الذي يعد من أهم المصادر في تاريخ
المرابطين وهو لا يشمل تاريخ المرابطين كله بل سقطت منه الحقة الممتدة مابين
سنتي 429هـ – 495هـ. وقد حاول د. إحسان عباس استكمال هذا النقص عن طريق
الملاحق التي وضعها في آخر الجزء ولهذا الجزء أهمية كبيرة لما حواه من معلومات
قيمة عن تاريخ المرابطين.

2. كتاب "الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار المغرب ومدينة فاس" لابن أبي
الزرع، موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما ومدينة فاس خصوصا وطريقة
بن أبي زرع لا تعتمد على طريقة الحوليات كالكتابات الأخرى ولكن طريقة من
يؤرخ لدول فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر أحوال
الدولة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و وفاة الأعيان فيها.

3. "كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذو الشأن
الأكبر" لعبد الرحمان بن خلدون، مراجعة سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، 8 أجزاء، بيروت ، 1421هـ / 2000م ، ج6: وقد عالج ابن
خلدون في هذا الكتاب تاريخ البربر وأنسابهم بالتفصيل خاصة والمغرب الإسلامي
في القرنين السادس و السابع الهجريين.

4. كتاب "المغرب في أخبار إفريقيا والمغرب" لأبي عبد الله البكري المتوفى سنة
427هـ – 1094م : وقد ذكر البكري وصف لمدينة فاس على عهد المرابطين
وبعض الطرق التي تربط هته المدينة بالمدن المغربية الأخرى ووصف البكري في
كتابه صنهاجة الصحراء و بلاد السودان الغربي وصفا دقيقا و مفصلا وخاصة غانة.

5. كتاب "الممالك و الممالك للبكري" : يعد من أهم المصادر الجغرافية غير أنه لم
يصلنا منه إلا الجزء الخاص بوصف بلاد المغرب الذي نشره دي سلان في الجزائر
سنة 1911م و الجزء الخاص بالأندلس و المغرب الذي نشره عبد الرحمان الحجي .

6. "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" لمحمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي : يعتبر نزهة المشتاق أعظم مرجع جغرافي لمعرفة الجوانب الحضارية للمغرب و الأندلس في القرن 6 هـ .
7. كتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لسعيد ابن الخطيب : انتهى من تأليفه سنة 783 هـ ويتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة مراكش كما يتطرق إلى تاريخ المرابطين والموحدين ويذكر ملوكهم و أبنائهم وتاريخ وفياتهم وقد استمد الكاتب معلوماته من كتب لمؤلفين في عصره البعض منها موجود والبعض الآخر مفقود.
8. "الكامل في التاريخ" عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير، تناول سبب خروج المرابطين من الصحراء زمن عبد الله بن ياسين.

المدخل

أوضاع بلاد المغرب والصحراء قبل قيام دولة المرابطين سياسيا، اقتصاديا، دينيا.

عند حلول النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كانت بلاد المغرب¹ و امتدادها جنوبا حتى نهر السنغال حاليا يسكنها البربر¹ ، الذين

1-بلاد المغرب: أطلق فريق من المؤرخين والجغرافيين المسلمين على البلاد التي تمتد من برقة والتي تليها غربا حتى شواطئ المغرب الأقصى اسم بلاد المغرب، أنظر: محمد أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر،(ب ط)، بيروت،1992، ص64، أنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة،(د ت)، ص12. لكن فريقا آخر يقول إن

كانوا منقسمين على أنفسهم إلى قبائل متصارعة، تتقاتل فيما بينها للسيطرة على المراعي و الطرق التجارية مع بلاد السودان الغربي²، و ورثت الكيانات البربرية هذا الصراع الذي كان دائرا بين الأمويين³ في الأندلس و الفاطميين⁴ في أفريقيا⁵ من القرن الماضي⁶.

حيث كان للفاطميين و الأمويين على حد سواء من ينوبهم في الصراع⁷، فالزيريون⁸ يسيطرون على أفريقيا و الحمّاديون¹ على شرق الجزائر الحالية وساحله

بلاد المغرب تبدأ من ما يلي شاطئ النيل الغربي حتى شواطئ المغرب الأقصى عند مدينة سلا، أنظر: أحمد ابن محمد ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان و إلفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، ج1، بيروت، 1983م، ص ص 5-6.

1 البربر: هم أقدم من سكن بلاد المغرب، و أصلهم حاميون وينقسمون إلى قسمين بتر وبرانس، فالبتر أبناء مادغيس بن بر بن مازيغ والبرانس أبناء برنس بن بر بن مازيغ وينتهي مازيغ بن كنعان إلى حام بن نوح، أنظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذو الشأن الأكبر، عبد الرحمان بن خلدون، مراجعة سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 8 أجزاء، بيروت، 1421هـ/2000م، ج6، ص116. وأنظر أيضا: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، المنصورة، مصر، 1411هـ/1991م، ص18.

2 وهي البلاد التي تقع جنوب الصحراء، أنظر: ابن عذاري، نفسه، ص6.

3- الدولة الأموية في الأندلس إمارة إسلامية أسسها عبد الرحمن الداخل عام 138 هـ/756م في الأندلس وأجزاء

من بلاد المغرب وكانت عاصمتها قرطبة، وتحولت إلى خلافة بإعلان عبد الرحمن الناصر نفسه في ذي الحجة من

عام 316 هـ/929م خليفة قرطبة، وقد استمرت الدولة الأموية في الأندلس رسمياً حتى عام 422 هـ/1031م،

حيث سقطت الخلافة وتفككت إلى عدد من الممالك، بعد حرب أهلية بين الأمراء الأمويين الذين تنازعو الخلافة

فيما بينهم، مما أدى بعد سنوات من الاقتتال، إلى تفكك الخلافة إلى عدد من الممالك المستقلة.

4- وهي سلالة شيعية، تنتسب للفرقة الإسماعيلية، حكمت بلاد المغرب حيث أقامت فيها الدولة الفاطمية، وكانت

عاصمتهم الأولى القيروان سنة: 296هـ- 308 هـ/909-920 م، ثم المهديّة بتونس الحالية: 308 هـ-362هـ/920-

973 م، وانتقلت إلى القاهرة منذ 362هـ/973 م.

5- أفريقية: هي البلاد الواقعة من طرابلس إلى نواحي قسنطينة آن ذاك، أنظر: الدكتور عبد المجيد النجار، المهدي بن

تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983، ص ص 87-89.

6- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، ط1،

القاهرة، 1980، ص1.

7- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ص 203.

8- الزيريون أو بنو زيري من قبيلة صنهاجة البربرية حكمت في أفريقيا وأجزاء من المغرب الأوسط بين 971-

1152م كانت عاصمتهم الناصرية بجاية حالياً منذ عام 971 م، ثم القيروان عام 1048 م، ثم المهديّة عام 1057م.

إلى غرب مليانة، أما زناتة² فامتد نفوذها من شرق تاهرت إلى جنوب غرب فاس³ مروراً بتلمسان⁴ وجنوباً امتد نفوذهم إلى سجلماسة⁵، و كان أحد الأهداف الرئيسية لهذا

وكان كبيرهم زيري بن مناد من أتباع الفاطميين منذ 935م. تولى الأخير سنة 971م حكم الإمارة في القلعة تمتع ابنه من بعده بلكين بن زيري (971-984 م).

1- الحماديون، أو بنو حماد، صنهاجيون وهم بنو عمومة مباشرة مع الزيريين، حكموا في المغرب الأوسط شمال شرق الجزائر الحالية، أسسوا دولتهم سنة 1007م لكن لم يعترف بهم الزيريون إلا بعد صلح سنة 408هـ/1018م، كانت عاصمتهم أشير القلعة في البداية ثم بجاية، سقطت دولتهم بعد دخول الموحيدين إلى عاصمتهم بجاية سنة 547هـ / 1153 م ، أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع نفسه ، ص 69 وص 196.

2- هم من قبائل البربر وينسبون لبر بن قيس بن مادغيس الذي من ولده جميع زناتة ، أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه ، ص 125.

3- فاس :عاصمة دولة الأدارسة ومركز ثقافي من مراكز بلاد المغرب أثناء العصر الإسلامي في بلاد المغرب، أنظر:حسن أحمد محمود، ص 15، وأنظر أيضاً:جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحيدين، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر، (ب ط)، الإسكندرية، 2001.

4- تلمسان:مدينة إسلامية شهيرة، تقع في غرب المغرب الأوسط، جنوب مدينة وهران الساحلية مسيرة يومين، كانت في الأصل مدينة بربرية تدعى أقدير، احتلها الرومان و أنشئوا بها معسكراً سموه بومارية، فتحها أبو المهاجر دينار سنة 55هـ وهزم حولها كسيلة البرنسي، ثم دخلها عقبة في ولايته الثانية، وبعد ذلك علا صيتها وتبحر عمرانها وازدهرت الثقافة والعلم فيها، وأصبحت أهميتها بالنسبة للمغرب الأوسط كأهمية فاس في المغرب الأقصى و القيروان لإفريقية، أنظر:، على الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تح عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411هـ/1991م، ص 14.

5- سجلماسة: مدينة عظيمة تقع جنوب شرق المغرب الأقصى حالياً، تعتبر المحطة الأولى للقوافل المتجهة نحو بلاد السودان الغربي وهي على مسافة شهرين من غانة، و المشهور أن سجلماسة من تأسيس بني مدرار الخوارج في أواسط القرن الثاني للهجرة، إلا أن ابن محلي السجلماسي ذكر في تقييده بالتعريف بمدينة سجلماسة أنها من تأسيس العرب الفاتحين عام 40هـ، ثم وسعها بنو مدرار فكانت عاصمة لمملكتهم إلى أن استولى عليها الفاطميون ملوك القيروان، فأدرت عليهم أموالاً طائلة باعتبارها مركزاً تجارياً مهماً في طريق القوافل المتجرة في السودان، ولما قامت الدولة المرابطين في القرن الخامس الهجري استولت عليها، استولت زناتة على سجلماسة حوالي 374هـ- 987م، أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ص 207، 208، و أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي أو ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد لخضر، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة، دار الغرب الإسلامي، ط2، جزاين، بيروت، 1983، ج2، ص 121، وأنظر أيضاً: مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، (ن و ت) سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون العربية العامة "أفاق عربية"، بغداد، 1985، ص 200.

الصراع هو ضمان التحكم في طرق التجارة المؤدية إلى بلاد السودان الغربي¹ بصفة عامة والتحكم في تجارة الذهب بالذات بصفة خاصة².

وازدادت ضراوة الصراع في بلاد المغرب شراسة و تعقيدا بعد تفكك الخلافة الأموية في الأندلس³، وانتقال العاصمة الفاطمية إلى مصر، حيث كان لهراطقة⁴ برغواطة المصموديين⁵ دولة حتى قبل ذلك في إقليم تامسنا⁶ على السهول المطللة على على الساحل الأطلسي بين مدينة سلا وأسفي أي من وادي أبي رقرق إلى وادي أم الربيع واتخذوا من مدينة أنفا(الدار البيضاء حاليا) عاصمة لهم⁷، حوت إمارتهم حوالي ثلاثمائة قصرا وما يربوا من أربعين مدينة⁸.

وتكونت إمارات زناتية عدة في تلمسان و سجلماسة و فاس واصلت هذه الإمارات الزناتية محاربة الزيبيين لحسابها الخاص و حتى لدرجة التناحر فيما بينها في كثير من الأحيان، غير أن ما يجمع زناتة كان هو العداء لصنهاجة⁹، حيث استقر بنو إفرن في سلا وتادلة¹⁰، بينما أخذ بنو مغراوة الذين حصلوا على استقلالهم عن الأمويين منذ سنة

-
- 1- بلاد السودان: سنشير إلى موقعها بالتحديد و التفاصيل المناسبة في الفصل الرابع.
 - 2- إيفان هربك وجان دافيس،، تاريخ أفريقيا العام-المجلد 03 أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، المشرف على المجلد محمد الفاسي، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام(اليونسكو)، ط2، حسيب درغام وأولاده، المكلس، الفصل 03، لبنان، 1994، ص374.
 - 3 - أحمد ابن محمد ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.كولان وإلبفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط3 ، ج 1 ، بيروت ، 1983م ، ص 264.
 - 4- **الهرطقة**: يطلق عليها أيضا الزندقة (بالإنجليزية: heretic) هي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، و خاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة، أنظر: مقالة الهرطقة، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .
 - 5- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ص 275.
 - 6- أحد أقاليم المغرب الأقصى في العصر الإسلامي، أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي أو ليون الإفريقي، المصدر نفسه، ج1، ص194.
 - 7- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم- عهد المرابطين ،مطابع فضالة، 10 مج، المحمدية، 1407هـ-1987م، مج5، ص8.
 - 8- الحسن بن محمد الوزان الفاسي أو ليون الإفريقي،المصدر نفسه،ص194.
 - 9- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص366.
 - 10- تادلة: اسم إقليم شهير بوسط المغرب الأقصى، أنظر: على الجزنائي، المصدر السابق، ص13.

390هـ/1000م¹ يسيطرون سيطرتهم تدريجيا بدءا من فاس حتى سجلماسة و أغمات و تامدولت ومناطق وادي درعة التي كان يسيطر عليها حتى ذلك الحين صنهاجة الصحراء، لم تقتصر توسعات و سيطرة الزناتيين على مراعي سجلماسة و وادي درعة و أغمات و تامدولت فقط بل امتد نفوذهم على صنهاجة الصحراء بعد عام 360هـ/970م²، وزاد الجفاف من حدة هذا الصراع أيضا³، وبعدها سقطت تجارة أوداغشت أو أودغست⁴ وطرقها تحت سيطرت الزناتيين مع حلفاء لهم من تجار عرب من أفريقية⁵، أفريقية⁵، وازداد الأمر سوءا بعد افتتاح منجم ملح جديد في تانتال(تغازة) أو(تغزة) Taghza⁶، إذ بدأ يوفر الإمدادات لغانا⁷، ومناطق أخرى من بلاد السودان محطما بذلك احتكار أوليل لهذه التجارة⁸.

1- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص374.

2- نفسه، ص376.

3 - الجفاف كان من أسباب التحالفات و الحروب والصراعات التي دارت في صحراء المثلثين، وكان من أسباب خروجهم من الصحراء نحو المغرب الأقصى في زمن عبد الله بن ياسين، سنوضح ذلك من خلال ما يأتي من الفصل الثالث، أنظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، ط33، 1 جزء، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2004 م، ج24، ص 143.

4- أوداغشت: مدينة تقع جنوب سجلماسة على مسيرة شهرين، وإلى الشمال من غانا على مسيرة بضعة عشرة يوما وتبعد عن أوليل مسيرة شهر كما يشير إليها بن الحوقل، وقد شبهها بمكة لأنها تقع بين جبلين وذات شعاب، أنظر: بن حوقل، المصدر نفسه، ص91. وهي الحد الفاصل بين صحراء لمتونة وبلاد السودان، أنظر: صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص215.

5- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 88.

6- مدينة تقع جنوب شرق تندوف الحالية أنظر: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 23. و أنظر: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جوان جوزيف، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية والمصري واللبناني، ط1، القاهرة و بيروت، 1404هـ-1984م، ص52.

7- إمبراطورية كانت تحكم أغلب بلاد السودان الغربي قبل سيطرة المرابطين، أسستها قبائل ((السونك))

Sonink وكانت تقع شمال نطاق الغابات بين نهري السنغال والنيجر ويحدها شمالا الصحراء، كان نفوذها وسطوتها تمتد أبعد من الحدود المشار إليها في كثير من الأحيان، وقد عرفها العرب المسلمون بأرض الذهب منذ القرن الثامن الميلادي و عاش فيها بعضهم في وئام مع أهلها، أنظر: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص ص 47-52.

8- أوليل: مدينة تقع في أقصى الجنوب الغربي في مضارب جدالة شمال مصب نهر السنغال على شاطئ البحر أنظر: أبو عبيد عبد الله البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (ب ط)، القاهرة، (ب س ط)، ص 171، أنظر أيضا: عبد الهادي التازي، المرجع نفسه، ص23.

ومما سبق ذكره فقد وصل الحال بصنهاجة الصحراء في بدايات النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي إلى فقدان سيطرتهم على أوسع وأحسن مراعيهم في شمال الصحراء ، وكذلك فقدوا في الجنوب السيطرة على الطرق التجارية الممتدة من سجلماسة و أوداغست لحساب بربر زناتة منافسيهم التقليديين.

بالإضافة إلى ذلك كله كانت لصنهاجة الصحراء توترات ونزاعات أدت إلى حدوث معارك عديدة مع دولة الجوار القوية في السودان الغربي غانة قبل هذه الفترة منذ زمن عبد الرحمان الداخل(المتوفى سنة172هـ/788م)، وكانت علاقتهم بغانة بين مد وجزر حسب أوضاع الطرفين، لذلك قامت عدة أحلاف بين قبائل صنهاجة الصحراء لمواجهة غانة¹، و كان آخر هذه الأحلاف² قبل قيام دولة المرابطين قام سنة426هـ/1034م بزعامة أبو عبد الله محمد بن تيفاوت(المتوفى سنة429هـ/1037م) ولكن هذا الحلف لم يكن متماسكا و منسجما و فعالا وكانت تنقصه لَحمة و جدوة على ما يبدو.

هذه الحروب و الصراعات المستمرة و المتعددة أدت إلى فوضى و ضغط هائل وكبير وشبه حصار اقتصادي على مختلف فروع صنهاجة الصحراء فحرموا مراعيهم من الشمال والشمال الغربي كما ذكرنا سابقا، وهي مناطق ذات أهمية إستراتيجية للاقتصاد البدوي و لجماعات صنهاجة شمال الصحراء التي كان الرعي قوام حياتها، وسُلبوا تجارة أوداغشت وطرقها شمالا و شرقا و جنوبا كما أشرنا و ضربوا في تجارة الملح المستخرج من ملاحه أوليل بالجنوب الغربي أيضا، بالإضافة إلى صراع داخلي بين مختلف فروع صنهاجة الصحراء، جعلت الحياة اليومية لا تطاق و حالت دون قيام أي نشاط اقتصادي طبيعي مزدهر، وقد فضلوا الفاقة والفقر على الخضوع لزناتة وأشار إلى ذلك بن خلدون بقوله « وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حزا»³.

1- عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق، ص241، أنظر أيضا:سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(ب ط) ،بيروت ، لبنان، 1405هـ/1985م،ص19.

2 -سنقوم في الفصل الموالي بذكر الأحلاف التي قامت بين قبائل صنهاجة الصحراء منذ زمن عبد الرحمان الداخل.

3- عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق، ص241.

كانت الحالة الدينية السائدة في بلاد المغرب على العموم وبلاد المغرب الأقصى وشمال بلاد السودان في الصحراء على الخصوص قبل نهضة المرابطين مباشرة، تتميز بوجود عديد الفرق والنحل والديانات¹، ومن المتناقضات أن نجد تفاوتاً كبيراً بين أهل الإسلام ذاته، حيث تتراوح بين معرفة سطحية للغاية بالمبادئ الأساسية للدين لدى بربر الصحراء² والجبال، وبين وجود مؤسسات إسلامية متطورة جداً في بعض المدن كالقيروان وتاهرت وتلمسان وفاس³.

أسهم الفاطميون إلى حد بعيد في دحر الخوارج في بلاد المغرب عامة، وذلك بعد اكتساحهم لدولتهم في تاهرت و سجلماسة عام 296هـ/909م⁴، غير أنهم لم يتمكنوا مع ذلك من أن يستميلوا أتباع المذهبين الخارجي والمالكي إلى مذهبهم الشيعي، بل تحول أغلب الأهالي بدلاً عن ذلك إلى مذاهب أهل السنة وخاصة المذهب المالكي وقاوم أهل المغرب المالكية على الخصوص العبيديين (الفاطميين) مقاومة شديدة خاصة في أفريقية حيث كان سندهم في ذلك علماء القيروان لما أبدوه من صلابة ورباطة جأش تجاه عمال العبيديين فأصدروا الفتاوى المناهضة لهم وقاطعوا من يتعامل معهم وبلغ بهم الأمر أن كفروهم و حرّموا الصلاة وراء من يواليهم حتى فرغت المساجد من المصلين⁵.

وانسحب وانكفأ من بقي من الخوارج على مذهبه إلى المناطق النائية خاصة في جبل نفوسة ووارجلان ثم وادي ميزاب، كما عجل تحول الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ/972م⁶ في ترك فراغ شغله علماء المذهب المالكي خاصة في القيروان حين ما

1- عاشت جاليات من اليهود والنصارى على أرض المغرب الأقصى متخذة من أرضه وطناً لها، أنظر: حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 363.

2 ابن أبي الزرع علي بن عبد الله (أو ابن محمد)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، ت كارل يوحني تورنبرغ (د ط)، أوبسالة، 1833م، ص 77.

3- أبو القاسم محمد كرو، عصر القيروان، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، ط2، دمشق، 1983، ص 22-32، وأنظر أيضاً: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص15، وأنظر: محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، ط1، القاهرة، 1408هـ/1988، ص ص419-424-432-433.

4- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، (د ط)، القاهرة، 1990، ص ص 174-178.

5- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص 90-100.

6- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص39.

حرضوا الحكام الزيريين والحماديين في التحول السياسي والتحاقهم بالخلافة العباسية ومذهب أهل السنة، ففي سنة 405هـ/1015م قطع حماد بن بلكين العلاقات مع الفاطميين محولا ولاءه إلى العباسيين¹، وتبعه في ذلك المعز بن باديس سنة 407هـ/1016م وزاد عليه بأن سمح بقتل الشيعة²، وكان نتاج ذلك في تحول جمهور المسلمين إلى المذهب المالكي أكثر من ذي قبل³.

كانت هناك أيضا طوائف مهرطقة أبرزها على الإطلاق، طائفة بزغواطة⁴ التي هي قبيلة بربرية و فرع من قبيلة مصمودة تعيش في سهول المغرب المطلة على المحيط الأطلسي بين سلا وأسفي، وقد أسس هذه الطائفة رجل ادعى النبوة سنة 128هـ/744-745م، يدعى "صالح بن طريف"، ألف قرآنا باللغة البربرية وتعاليم تجمع معتقدات بربرية قديمة و أضاف لها تعاليم إسلامية، حيث كانت الشعائر و أركان هذا الدين تستند بصورة رئيسية إلى العادات البربرية المحلية، لقيت هذه الهرطقة إقبالا كبيرا، ثم نصب "صالح" نفسه حاكما و أصبح مستقلا عن الخلافة واستمر خلفاؤه في الدفاع عن دينهم ودولتهم ضد محاولات الأدارسة والأمويين والفاطميين وحتى الزيريين لاستئصال شأقتهم، ولكن لم يستطع أحد قهرهم حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي⁵.

وما إن حل القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة ميلادي حتى اكتمل نشر المذهب المالكي في بلاد أفريقية و المغرب الأوسط بشكل تام تقريبا بعد استئصال الشيعة و مذهبهم سنة 407هـ/1016م، ولم تبق هناك إلا جماعات مسيحية صغيرة وأخرى يهودية

1- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص167.

2- شهدت أفريقية في محرم السنة المذكورة مذبحا كبيرة في عموم البلاد للشيعة و خاصة في باجة و مدينة تونس مذابح ضد الشيعة، ثم حدثت لهم مذابح أكبر في القيروان ونهبت ديارهم وأموالهم، أنظر: عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط11، مج1، بيروت 1407هـ/1987م، مج8، ص114، و أنظر أيضا: إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص82.

3- كما أن المعز فرض المذهب المالكي، وأخرج ما عداه من المذاهب من المغرب، أنظر: عبد الحليم عويس، المصدر نفسه، ص168.

4- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص377.

5- عصمت عبد الطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت بيروت، 1408هـ/1988م، ص ص 96-97.

في بعض المناطق والمدن، ضف إلى ذلك بقاء بعض القبائل البربرية القاطنة في المناطق الجبلية الوعرة والنائية محافظين على معتقداتهم القديمة¹.
ومما سبق يمكننا القول:

استمر الوضع المذهبي في التغيير في فترة ما بعد الفاطميين، رغم تقلبات ولاء الحكام الزيريين والحماديين مرة للفاطميين وأخرى للعباسيين وبعدها عودة للفاطميين، وهكذا حسب المصالح السياسية، لكن الاتجاه العام للرعية هو في العودة إلى المذهب المالكي وازدهاره خاصة بعد أعلن المعز بن باديس عام 439هـ/1048م قطع العلاقات مع الخليفة الفاطمي المستنصر وتحوّله من المذهب الشيعي إلى المذهب السني واعترف بالخليفة العباسي في بغداد، وبحلول منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة ميلادي كان المغرب بمجملة منطقة يسودها مذهب أهل السنة ولا أثر فيها للشيعية مع وجود جيوب صغيرة ينتشر فيها مذهب الخوارج بالإضافة إلى تجمعات صغيرة للمسيحيين واليهود.

أما بالنسبة لصنهاجة الصحراء تناولت كثير من المصادر التاريخية أن ذاك كما سنوضح ذلك في بقية البحث على سطحية إسلامهم و جهلهم حتى لأبسط تعاليم و طقوس الإسلام، وقلة من يحفظ بضع آيات للقرآن الكريم ناهيك عن القرآن كله وعدم معرفتهم بالسنة النبوية لأن الفقهاء يتمركزون في المدن ولا يكاد يوجد واحد منهم في البوادي²، الشيء الذي حز في نفوس أمرائهم وكبرائهم خاصة من جدالة، الذين ذهبوا إلى البلاد المجاورة من ديار المسلمين كفاس والقيروان، واتضح لهم أكثر في رحلات الحج البون الشاسع بين إسلام بني عشيرتهم من الصنهاجيين الصحراويين و إسلام باقي البلاد الإسلامية من المغرب إلى الحجاز مرورا بمصر، كل ذلك جعلهم يفكرون و يسعون في بعث النهضة الدينية في بني قومهم.

1- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص87.

2- إبراهيم بوتشيش القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، 4، 1998، ص241.

الفصل الأول

1. أصول المرابطون و أوضاعهم قبيل قيام دولتهم.

1.1 أصول القبائل الملتمة.

2.1 مضارب القبائل الملتمة وزمن اعتناقهم الإسلام.

3.1 الأوضاع السياسية لصنهاجة الصحراء.

1.1 أصول القبائل المثلثة:

يعتبر البرانس الصنهاجيون الصحراويون المثلثون هم أصل المرابطين¹، ينقسمون إلى ثلاثة قبائل رئيسية وهم: لمتونة و مَسُوفَة و جدالة²، والذين كانوا يتخذون اللثام شعارا لهم كما أشار إلى ذلك ابن خلدون «...واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم» يميزهم عن سائر قبائل بلاد المغرب والصحراء، ويتخذ الذكور منهم ذلك منذ طفولتهم دون الإناث فهن حواسر الوجوه، إذ أنهم يعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب إخفاؤها، «و يزعمون أن الفم سوءة تستحق الستر كالعورة لما يخرج منه إذ ما يخرج منه عندهم أنتن مما يخرج من العورة»³ وهم لا يضعونه ليلا ولا نهارا إذ يذكر البكري أن «جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو جوف اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال و لا يميز رجل منهم ولده و لا حميمه إلا إذا تنقب...وصار ذلك لهم ألزم من جلودهم... يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس أفواه الذبان بلغتهم...»⁴.

هناك العديد من التفسيرات و التأويلات حول سبب ارتدائهم اللثام فا بن الأثير ذكر أنهم «...وكانوا قبل أن يملكوا يتلثمون في الصحراء من الحر و البرد كما يفعل العرب»⁵. وأشار أيضا أن «طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو على بيوتهم ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان و النساء، فلما تحقق المشايخ انه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال و يتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن و يلبسن

1- تقول بعض المصادر أن صنهاجة شعب عظيم فتقدر أن عدد قبائلها حوالي 70 بطنا، أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، صص 201-202 و 241، وأنظر: عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، مطبعة دار بردين، باريس، 1981، ص 25، لكن فريقا آخر من النسابة والمرخين ينسبونهم إلى حمير القبيلة العربية اليمنية، أنظر: إبراهيم بوتشيش القادري، المرجع السابق، صص 12-13.

2- محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، الحلل الموشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ/1911م، ص 6.

3- محمد أبو القاسم بن حوقل، المصدر نفسه، ص 99، أنظر أيضا: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ص 241.

4- عبد الله أبو عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، ص 170.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، مج 8، ص 330.

السلاح ففعلن ذلك و تقدم المشايخ والصبيان أمامهن و استدر النساء بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا: هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهم قتال الموت و الرأي أن نسوق النعم ونمضي فإن اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم، فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فأكثروا و كان من قتل النساء أكثر، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا تعرف الشيخ من الشاب فلا يزيلونه ليلا ولا نهارا»¹.

وفي وصفهم أشار بن الحوقل أن « وفيهم البسالة و الجرأة والفروسية على الإبل و الخفة في الجري و الشدة والمعرفة بأوضاع البر و أشكاله و الهداية فيه، والدلائل على مياحه بالصفة والمذاكرة، ولهم الحس الذي لا يدانيه في الدلالة إلا من قاربهم وسعى سعيهم... »² كما أشار لما في طباعهم من شدة وغلظة فذكر ما رآه من صنيع أحدهم «...وقد أثيرت جمال وأراد هذا الرجل بعضها وقعد على طريقها وهي نافرة شاردة، وكانت بأجمعها فحولاً... فقبض على كراعته وهو نافر وقد ساواها في العدو فمنعه الحركة إلى أن ضرب به الأرض ونحره فكأنه نحر عنزا أو قصد جديا... »³ وأكد ما قاله عنهم البكري أيضا «...وقوتهم مكينة... وأبدانهم صحيحة... »⁴.

وهم امتازوا بالطول، وفيهم رشاقة، وهم ذوو وجوه سمراء طويلة، ولأولادهم شعور مموجة فاتحة سرعان ما تصبح سوداء و ويلبس رجالهم ، ونسأؤهم أكسية الصوف، ويحتزمون في أوساطهم بمآزر الصوف، ويسمونها "أسفاقس"، ولباس سادتهم لا يشبه لباس عبيدهم، وخاصة في اللثام كما يوضح ذلك عبد اللطيف دندش «ويتميز السادة عن العبيد بارتدائهم لثاما مغايرا كما قال بن عبدون، و يسكن المثلثون في بيوت من الحجر والطين والوبر وأكثر أثاثهم من الصوف»⁵.

وطعامهم بسيط و محدود الأصناف وفق ما نقله بن الحوقل في إشارة إلى أنهم «.. في براري سجلماسة و أوداغست و نواحي لمطة وتادمكة إلى الجنوب و... فيه مياه

1- ابن الأثير، المصدر السابق، م 8، ص330.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

3- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 99.

4- عبد الله أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص170.

5- عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق، ص35.

عليها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام و لا رأوا الحنطة و لا الشعير و لا شيئاً من الحبوب، والغالب عليهم الشقاء و الانتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن و اللحم... «¹ وهو ذات ما أكده ابن خلدون... و اعترضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتبازاً عن العمران.. « و يأكلون الجراد أيضاً²، و أكد ذلك أيضاً البكري «... و طعامهم صفيف اللحم الجاف مطحوناً يصب عليه الشحم المذاب أو السمن و شرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء... «³.

وللمرأة مكانة رفيعة في هذه القبائل، و تتمتع بالمساواة التامة مع الرجال، فهن يقتنين الثروات و يتمتعن بنفوذ لا حد له، و لا يباشرن أعمالهن المنزلية بل يقوم بها العبيد، و يشاركن في مجلس القبيلة، و تعتبر أخت ملك أو دغشت "تنبروتان" مثلاً على ذلك، و بقيت هذه المكانة حتى بعد قيام دولة المرابطين مثل زينب النفزاوية زوج أمير المسلمين يوسف بن تاشفين التي كان لها أثر بارز في تأكيد سلطة زوجها، بما امتلكته من حنكة و ذكاء و دهاء.⁴

تقول بعض المراجع و المؤرخون التي تستند لكتابات بعض الرحالة مثل بن بطوطة أن المثلثين تنتشر بينهم عادات سيئة و مهينة كالزنا و مصاحبة النساء المتزوجات للرجال علناً فيصف ذلك بقوله «... ذكر مسوفة الساكنين بايوالاتن... فأما رجالهم فلا غيرة لديهم و لا ينتسب أحد لأبيه بل ينتسب إلى خاله... محافظون على الصلوات و تعلم الفقه و حفظ القرآن و أما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال و لا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات... لهن الأصدقاء و الأصحاب من الرجال الأجانب و كذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيةات و يدخل أحدهم داره فيجد امرأته و معها صاحبها فلا ينكر ذلك... «⁵

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

2- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 241.

3- البكري، المصدر السابق، ص 170.

4 - محمد أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المسالك و الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1873م، ص 71، و أنظر أيضاً:

حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 52. و أنظر أيضاً: عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 36.

5 محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن اللواتي الطنجي بن بطوطة، رحلة بن بطوطة "تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار"، المطبعة الخيرية، ط1، جزأين، (ب م ن)، 1322هـ، ج2، ص ص 233-

234، أنظر أيضاً: سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 18.

نعتقد أن من يستخدم هذا الوصف للمرأة الصنهاجية قد جانب الصواب وابتعد عن الحقيقة العلمية التاريخية للأسباب التالية:

1. إذا ذهبنا في تصديق ما كتبه بن بطوطة فإن وصفه لمجموعة محددة من مسوفة بمنطقة معينة» ذكر مسوفة الساكنين بايوالاتن»، لا يبرر لكل من كتب عن المرأة الصنهاجية أن يعمم نتيجة جزئية على كل و يصدر حكما كلياً على عام من خلال حكم جزئي، فيقع في تناقض منطقي لأن النتيجة الجزئية لا تعمم على الكل.

2. من وصف بن بطوطة و سياق كلامه هناك تناقض، فكيف يقوم يحرصون كما يقول «... محافظون على الصلوات و تعلم الفقه و حفظ القرآن...» الذي ينهاهم بأشد العبارات على الفواحش ما ظهر منها وما بطن يرضون بالدنية في أعراضهم على مسمع ونظر القريب و البعيد، لذلك على المستدل بكلامه أن يمحص ويدقق و يمعن عقله جيداً ويتسم بمنهج علمي نقدي.

3. على المستدلين بكلام بن بطوطة في وصف المرأة الصنهاجية أن يتفطنوا لحقيقة تاريخية غائبة عليهم ولغفلة منهم وليس على بن بطوطة، فهو يصف نساء منطقة معينة من قبيلة من مسوفة في زمن متأخر عن المجتمع الذي قامت عليه دولة المرابطين حيث أن بن بطوطة ولد في طنجة سنة (703 هـ/1304 م)¹ و بدأ رحلته حوالي سنة 1325م، فكيف يستدلون بوصف لمجتمع زار بن بطوطة مكانه بعد حوالي 300 سنة؟، فهو يصف أشخاصاً في القرن الثامن هـ/ الرابع عشرة ميلادي، فتجدهم يلصقون هذا الوصف بمجتمع في بدايات الخامس الهجري/ الحادي عشرة ميلادي.

4. لم نجد في مؤلفات كل من بن حوقل (توفي 367 هـ/ 977 م) وأبو عبيد الله البكري (404 هـ/ 1014 م - 487 هـ/ 1094 م) وهما أقرب الرحالة والجغرافيين لزمن قيام المرابطين هذا الوصف وكذلك في مؤلفات بن أبي الزرع (؟ - 726 هـ، ؟ -

1 ابن بطوطة: ولد ابن بطوطة في طنجة بالمغرب عام 1304 لعائلة عرف عنها عملها في القضاء. وفي فتوته درس الشريعة وقرر عام 1325، وهو ابن 21 عاماً، أن يخرج حاجاً. كما أمل من سفره أن يتعلم المزيد عن ممارسة الشريعة في أنحاء بلاد العرب، انظر أيضاً: ابن بطوطة أعظم رحالة العالم، مارتن نك، مجلة الشندخة، الإمارات العربية المتحدة، العدد 52، مايو- يونيو 2003. الساعة: 15:08 يوم 2012/05/02 على الخط

و http://www.alshindagah.com/mayjun2003/IBN_BATHOOTA.htm

[/http://www.harcourtschool.com/activity/biographies/battuta](http://www.harcourtschool.com/activity/biographies/battuta)

1326م) ومحمد بن عبد الله بن الخطيب (677هـ/713هـ) و هما في نفس زمن بن بطوطة ذلك الوصف ، فكيف غابت عنهم جميعا؟ رغم أنهم تكلموا على تفاصيل كثيرة في المجتمع الصنهاجي لا تبدو ذات شأن.

2.1 مضارب القبائل الملتمة وزمن اعتناقهم الإسلام:

مضارب هذه القبائل في شمال بلاد السودان(الصحراء الغربية و موريتانيا اليوم)، و في صحاري المغرب وسهوله، منذ القرن الثالث الميلادي أخذت تهجر مواطنها نحو الغرب ثم مالبتت أن اتجهت جنوباً¹، وفي القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي على أثر الفتح الإسلامي، هربت بعض القبائل الصنهاجية إلى المغرب الأقصى، وعندما توغل المسلمون في فتح بلاد المغرب الأقصى اتجهت هذه القبائل جنوباً نحو الصحراء، وكلما حدثت أزمة سياسية وصراع عسكري(أشرنا في الفصل التمهيدي لتلك الصراعات) في بلاد المغرب، كلما أوغلت هذه القبائل في هجرتها جنوباً، حتى استقرت في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من غدامس شرقاً إلى بحر الظلمات غرباً ومن جبال درن شمالاً إلى أواسط الصحراء²، ويقول بعض المؤرخون أن انحدار صنهاجة الصحراء نحو الجنوب جاء نتيجة طبيعية تضاريسية حيث كانوا يتتبعون المراعي، وليس نتيجة ضغط سياسي أرغم القبائل الصنهاجية على إثرها على الهجرة جنوباً إلى الصحراء و الاستقرار بها، ووصلت بعضها إلى مشارف نهر السنغال³.

كانت مضارب قبيلة لمتونة من وادي نول⁴ على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية⁵، وإلى الشرق من وادي نول إلى مدينة أزكي¹ ، وهي حصن لمتونة،

1 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 32.

2- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص13.

3- إبراهيم بوتشيش القادري، المرجع السابق، دار الطليعة بيروت،4،1998، ص 13. ، و أنظر: عصمت عبد

اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص32

4 نول: أو "نول لمطة" مدينة كبيرة تقع في آخر بلاد السوس، وهي أول الصحراء تقع على نهر كبير سميت باسمه، يصب في البحر المحيط، خلفتها اليوم مدينة تندوف الجزائرية، أنظر:صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق،ص213، أنظر أيضاً:عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص37.

5- مدينة ساحلية على المحيط الأطلسي في الصحراء الغربية جنوب مدينة العيون أنظر الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر،(د ت ط)، ص31.

وهي البوابة الشمالية لبلاد السودان و امتدت مضاربهم إلى الشرق حتى الطريق الواصل بين سجلماسة وغانة².

أما مضارب جدالة فهي في الجنوب الغربي من مضارب لمتونة في صحراء تيسر أو أزواد إلى البحر المحيط³، وتمتد جنوبا إلى بلاد السودان حتى مصب نهر السنغال حيث تتخذ من مدينة أوليل مرتكزا لها، و بها ملاحا لم يعرف غيرها في بلاد السودان⁴.

أما مسوفة تقع مضاربها في منطقة قاحلة مجدبة بين أودغشت في الجنوب و سجلماسة من الشمال، وتمتد غربا حتى وادي درعة⁵، وتمتد بعض بطونها شرقا حتى مدينة تادمكة و كوكو⁶.

اختلف المؤرخون في زمن اعتناق أول المثلثين الإسلام فبعضهم ينسبه إلى زمن الفتح الأول حيث وصل عقبة بن نافع إلى مدينة ماسة في السوس الأقصى جنوب آغادير الحالية حيث ابنتى مسجدا حسب رواية بن عذاري « نزل أغمات وريكة، ثم نزل منها على وادي نفيس ، وقام عقبة من وادي نفيس، وسار حتى نزل إجلي بالسوس، وبنى فيه مسجدا »⁷، ولكن ابن خلدون ذكر أن إسلامهم كان في وقت ما بعد فتح بلاد الأندلس «حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس»،⁸ إلا أن معظم المؤرخين قد أجمعوا على أن الإسلام عم جميع قبائلهم في القرن الثالث الميلادي كما يقول بن خلدون «وكانوا على دين المجوسية على أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثالثة»⁹.

3.1 الأوضاع السياسية لصنهاجة الصحراء:

1 أزكي: مدينة تقع شرق وادي نول على مسيرة 7 أيام على طريق سجلماسة بلاد السودان، أنظر عبد الطيف دندش، ص 33.

2 عصمت عبد الطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 32-33.

3- البحر المحيط: المحيط الأطلسي، أنظر: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 23.

4- أبو عبيد عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 171. ،و أنظر أيضا: عبد الهادي التازي ، ص 23.

5- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 375.

6- أنظر خريطة، عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 102.

7- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 27.

8- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 242.

9- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وننتج عن تمام اعتناق الملتئمين للإسلام في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أثر بالغ في تاريخ المغرب والسودان، حيث ولد تحالف أول كبير بين قبائل لمتونة و جدالة و مسوفة، و كان هذا الحلف بزعامة لمتونة، وكان ذلك أيام عبد الرحمان الداخل حيث ذكر ذلك بن خلدون «... الداخل، توارثه ملوك منهم: تلاكاكين و ورتكا أوركن بن ورتنطق جد أبي بكر بن عمر أمير لمتونة... وطالت أعمارهم فيها إلى الثمانين ونحوها، ودوخوا تلك البلاد الصحراوية...»، فجاهدوا جيرانهم من السودان¹، لأن في الشمال دولة الأدارسة (172-375هـ/788-985م) القوية آن ذاك التي كانت تخضع لها صنهاجة شمال الصحراء و جنوب المغرب الأقصى قبل سقوطها، و صعود نجم زناتة و قبائل المصامدة القوية المحاربة، التي كانت ما تزال في أوج قوتها².

كانت أودغشت عاصمة لملكهم القوي الذي إلتف حوله الملتئون جميعا هو ثيولوتان بن تيكلان (توفي 222هـ/ 837م)³ الذي كانت له علاقات بملوك غانة وملك كوغة يروي البكري «... الملك المقيم باودغشت... تنبروتان ملكهم... وصاحب أودغشت هذا رجل يخالط صاحب غانة و ملك كوغة ويهاديها...»⁴، دانته له معظم ملوك السودان «فدوخ بلاد الصحراء و اقتضى مغارم السودان وكان يركب في مائة ألف نجيب⁵، بينما بينما في روايته البكري في المسالك والممالك يقول أن «... و كان صاحب أودغست في عشر الخمسين و ثلاث مائة تين يرونان ابن ويسنو(350-360 هـ /961-971م)⁶ بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يودي إليه الجزية... يعتد في مائة ألف نجيب»⁷.

وقام بأمرهم بعد ثيولوتان بن تيكلان يَلْتَان الذي توفي حوالي سنة 287هـ/900م، وورثه ابنه تميم الذي قتل في صراع داخلي بين مختلف فروع صنهاجة

1- عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 159، أنظر أيضا: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 241.

2- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 72.

3- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه.

4 ابن الحوقل، المسلك والممالك، ص 72.

5- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 241، هذه الرواية لابن خلدون التي يرويها عن ابن أبي الزرع.

6 صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 216.

7- عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 159.

الصحراء حوالي سنة 306هـ/918م¹، التي افترق أمرها بعد الحادثة ولم يجتمع على أحد طيلة مائة وعشرين عاما²، إلى أن تكوّن الحلف الصنهاجي الثاني بزعامة الأمير أبي عبد الله محمد بن تيفاوت (توفي حوالي سنة 426هـ/1035م المعروف بتارست³ أو تارسنا⁴ تارسنا⁴ أو ناشرت⁵ أو تارتسى⁶ اللمتوني سنة حوالي 426هـ/1035م⁷، وأجمع المؤرخون على أنه كان من أهل الدين والفضل و الجهاد والحج⁸، لبث فيهم ثلاث سنين سنين ثم أستشهد في بعض غزواته ببلاد السودان بمكان يدعى بقارة⁹، و تولى الأمير يحيى بن إبراهيم صهر أبو عبد الله بن تيفاوت الرياسة بعده، وواصل طريق الجهاد في بلاد السودان على نهج أسلاف، لكن هذه الحادثة أدت إلى استيلاء إمبراطورية غانة على مدينة أودغشت¹⁰، وبعد هذه الهزيمة انتقلت الزعامة السياسية من لمتونة إلى جدالة¹¹ وخسرت صنهاجة مورد اقتصادي مهم، لأنها كانت محطة رئيسية في طريق القوافل التي تقام بها أسواق كبيرة¹².

وكانت دوافع و أهداف القبائل الصنهاجية من هذه الأحلاف متعددة فالبعض أرادها للحفاظ على المراعي مثل القبائل المتاخمة لجنوب المغرب الأقصى المتصارعة مع قبائل زناتة و مسمودة وغيرها، أما التي في وسط الصحراء و جوار غانة فأرادت الحفاظ على مكاسبها من القوافل التجارية العابرة للصحراء بين بلاد السودان و بلاد

1- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، الصفحة 241.

2- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 76.

3- أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954م، ص 5.

4- ابن أبي الزرع، المصدر نفسه، ص76.

5- حسب رواية بن خلدون عن ابن أبي الزرع، المصدر نفسه، ص241.

6- وهو الأقرب حسب رواية البكري، المصدر السابق، ص164.

7- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص54.

8- الناصري، المصدر السابق، الصفحة نفسها. وانظر ابن أبي الزرع، المصدر نفسه، الصفحة نفسها، عبد الرحمان الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 242.

9- ابن أبي الزرع، المصدر نفسه، ص 76.

10- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، الفقيه عبد الله بن ياسين و قيام دولة المرابطين، (د د ن)، القاهرة، (د س)، ص2.

11- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص103.

12- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص55.

المغرب، وصنف ثالث من القبائل الصنهاجية الصغيرة والضعيفة فأرادت الأحلاف حتى لا تظلمها القبائل الكبيرة¹.

ومما سبق ذكره يمكننا القول أن:

مضارب القبائل في الصحراء خاصة، كانت تتغير من حين لآخر باستمرار حسب الأوضاع السياسية و التحالفات القبلية و العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و حتى المناخية فكلما احتبس المطر واستفحل الجفاف زادت التوترات و المناوشات بين هذه القبائل، لذلك نجد بعض التضارب بين المصادر في تحديد مناطق سيطرة القبائل خاصة في شمال الصحراء و جنوبها.

قامت عدة أحلاف بين قبائل صنهاجة الصحراء قبيل نهضة المرابطين لكن طموحات من تزعم هذه الأحلاف لم تكن أكبر من الصحراء التي سكنوها و اكتفوا بِتَحَسُّنِ أحوالهم نتيجة تحكمهم في طرق التجارة الصحراوية، فالمكوس والضرائب و

1 - إبراهيم بوتشيش القادري، المرجع السابق، ص ص237-240.

حراسة وخدمت القوافل كانت تمدهم بدخل لا بأس به، وربما يرجع تحسن ظروفهم أيضا إلى غنى المراعي بالكأ وذلك عائد إلى تحسن ظروف المناخ بفضل سقوط الأمطار و غياب سنوات الجفاف.

كانت علاقة القبائل الصنهاجية بالدول المجاورة كالأدراسة و غانة و القبائل الأخرى تشوبها موجات من المد والجزر حسب قوة هذه الأحلاف و قوة جيرانهم فمرة تتسم بطغيان صنهاجة على جيرانهم فتأخذ منهم الجزية كما حدث لملوك السودان خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وأخرى بتبعيتهم حد التنازل على مراعيهم ومدينة أودغشت وتفهمهم إلى وسط الصحراء كما وقع طيلة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وإننا لا ندعي لمجتمع صنهاجة اللثام المروءة التامة و الأخلاق العالية فهم قوم بدو لهم مالهم من الأخلاق الحسنة وعليهم ما عليهم من فعل سيئ، فعلى الدارسين أن يحققوا و يدققوا في هذه الإشكالية المتعلقة بوضع و مكانة و تصرفات المرأة الصنهاجية حتى نصل إلى الحقيقة العلمية التاريخية، ونتقبلها بكل صدر رحب.

الفصل الثاني

2. انطلاق الدعوة وقيام الدولة:

1.2 التقاء يحي بن ابراهيم الجدالي بالشيخ أبي عمران الفاسي.

2.2 مراحل تولي عبد الله بن ياسين الدعوة

1.2.2 المرحلة الأولى: الدعوة بين بني جدالة

2.2.2 المرحلة الثانية: الإعداد في الرباط و انطلاق الجهاد

3.2 تولي الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني الزعامة و بناء مراكش

1.2 التقاء يحيى بن ابراهيم الجدالي بالشيخ أبي عمران الفاسي قبل 430هـ/1039م:

عند توجه الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالي (توفي حوالي سنة 440هـ/1048م) إلى الحج حوالي 427هـ /1036م¹ استخلف ابنه إبراهيم بن يحيى على رئاسة صنهاجة اللثام، وفي طريق ذهابه إلى الحج مر ببلاد بالمغرب، فذهل مما رآه من «... ذلك البون الشاسع، بين بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة، وبيئة الصحراء التي يظلمها الجهل وتقف سوقها من العلماء المتضلعين في العلم»².

و شاهد في بقية أمصار المسلمين التي مر بها في طريق الحج ما جعله يفكر أيضا في حال قبيلته، فحز كل ذلك في نفس الأمير وجعله يفكر في ضرورة تغيير الوضع المتردي السائد بين الملتهمين.

1- البكري، المصدر السابق، ص 165.

2- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 105.

خط الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي رحاله في طريق العودة بمدينة القيروان، حيث حضر مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي¹ (توفي 430هـ/1039م) شيخ المذهب المالكي يومئذ ببلاد المغرب، ودار بينهما حديث بعده أعجب الفقيه أبو عمران بالأمير، فسأله عن بلاده و أحوالها، فأخبره «أن أهل بلدنا قوم عمهم الجهل ليس فيهم من يقرأ القرآن وهم مع ذلك يحبون الخير و يرغبون فيه و يسارعون إليه.....فلو أبغيت الثواب من الله تعالى في تعليمهم الخير لبعثت معي إلى بلدنا بعض طلبتك و تلاميذك فيقرئهم القرآن و يفقههم في الدين...»².

لم يجد الشيخ أبا عمران من بين تلامذته من يقبل تلبية هذه الدعوة، لأنهم استصعبوا الأمر ما لذلك من مشقة السفر وبعد المكان و وحشة الصحراء، و غلظة أصحابها، فأشفقوا منها على أنفسهم³، هذا الرأي الأول الذي ذهب إليه فئة من المؤرخين لكن بعض الآخر ذهبوا مذهباً مختلفاً فقالوا إن الشيخ أبو عمران الفاسي كانت له نظرة ثاقبة و مقاربة أوسع فأراد فقيها من بني جلدتهم حتى يكون أقرب في فهم مجتمعهم و لغتهم و يتقبله مجتمعهم الذي كان بطبيعته البدوية لا ينقاد إلا لبني قومهم⁴، لذلك أعطى الفقيه أبا عمران رسالة إلى الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي و أرسله إلى الشيخ و جاج بن زللو اللمطي⁵ (د ت و) شيخ المالكية بالسوس الأقصى، الذي كان يقيم في دار للعبادة

1- أبو عمران الفاسي توفي حوالي سنة 430 هـ/1039م: هو موسى بن عيسى بن أبي حاجين وليم بن الخير الغفجوني، و غفجون فخذ من زناتة، وقال السمنطاوي: من هواره، أصله من فاس فسمع بها من علمائها، ثم رحل إلى المشرق فحج و سمع من أبي ذر إلى أن مات و درس على يد علماء كثر من مكة و العراق و هو من أحفظ الناس و أعلمهم جمع حفظ المذهب المالكي إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، يقرأ القرآن بالسبع و يجوده مع معرفته بالرجال و جرحهم و تعديلهم أنظر كتاب ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم و الأدب و السياسة، عيد الله كنون، تقديم د. محمد بن عزوز، ص ص 188-203، و انظر أيضا: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ت محمد بن تاويت الطنجي، ط2، 8 أجزاء، المحمدية، المغرب، 1403هـ/1982م، ج7، ص ص 243-253.

2- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 77، أنظر أيضا: عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 165.

3- محمد بن عبد الله بن الخطيب، المصدر السابق، ص 9.

4- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 112.

5- و جاج بن زللو: أحد تلاميذ الفقيه أبي عمران السابقين و قد أخذ العلم عنه و رجع إلى السوس بالمغرب الأقصى يدرس القرآن و العلم و أصبح شيخ المالكية هناك في زمانه، أنظر: محمد بن عبد الله بن الخطيب، المصدر السابق، ص

والدراسة في سهل السوس ، وصل إليه في رجب من سنة 430 هـ/1039م، بعد أن اطلع الشيخ وجاج على ما في الكتاب قام بعرضه على تلامذته، ومما جاء فيه «...فأبعث معه إلى بلده من تثق بدينه و ورعه و كثرة علمه و سياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام و يفقههم في دينهم ...»¹.

هذه هي الرواية الأولى المشهورة، أما الرواية الثانية والأقل شهرة، فهي التي ذكرها إيفان هبرك وجان دافيس نقلا عن القاضي عياض (المتوفى 544هـ/1149م)، وعن بن الأثير (المتوفى 630هـ/1233م) والتي لا تتحدث عن يحيى بن ابراهيم الجدالي و لا الشيخ أبا عمران الفاسي، بل تذكر حاجا آخر من جدالة نفسها يدعى جوهر بن سكم قصد الشيخ وجاج مباشرة وهو في طريق عودته من الحج، وطلب منه أن يوفد معه شخصا ليعلم قومه الإسلام الصحيح وتعاليمه².

2.2 مراحل تولي عبد الله بن ياسين الدعوة (430هـ/1039م - 450هـ/1059م):

اختار الشيخ وجاج لهذه المهمة عبد الله بن ياسين (المتوفى 450هـ/1059م) بن مكوك بن علي الجزولي، الذي ولد في قرية تاماناوت في طرف صحراء مدينة غانة بأحواز مدينة أودغشت، وقد نسبه بعض المؤرخون إلى قبيلة جدالة نفسها³، يعتبر عبد الله بن ياسين الرجل المناسب لهذه المهمة مما التمس فيه شيخه وجاج بن زللو من فطنة و علم ومعرفة ورباطة جأش وإقدام وسعة إطلاع على أمور الحياة، فقد ارتحل إلى الأندلس في بداية شبابه لطلب العلم أثناء حكم ملوك الطوائف وكان ذلك بعد عام 400هـ/1010م⁴، حيث مكث بها سبعة أعوام، وكان تحصيله العلمي غزيرا فتعلم عدة صنوف من العلوم قبل أن يعود ويستقر بالمغرب الأقصى، أين أخذ العلم عن شيخه الفقيه وجاج

1- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 78.

2- إيفان هبرك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 373.

3-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 113.

4- قامت عدة دويلات على أنقاض الدولة الأموية في الأندلس و كان عددها 9 دول ودامت فترة حكمهم 80 عاما.

بن زللو في رباطه، وبهذا يكون قد نهل عبد الله بن ياسين من علم الأندلس مباشرة وعلم القيروان عن طريق بن زللو في السوس الأقصى¹.

1.2.2 المرحلة الأولى: الدعوة بين بني جدالة (430هـ/1039م - 444هـ/1052م):

عند قدوم يحيى بن ابراهيم الجدالي و الشيخ عبد الله بن ياسين على جدالة أو كدالة و لمتونة لقياً ترحاباً كبيراً، واستبشروا بقدوم الفقيه وأكرموه، فبدأ يعلمهم القرآن والسنة و بعضهم وينهاهم عن المنكر².

رأى عبد الله بن ياسين من المنكرات الظاهرة في الملتمين، شائعة بينهم حتى وصل بهم الحال لدرجة أن أهملوا شعائر الدين كالصلاة والصيام، وكان الرجل يتزوج أكثر من أربعة من الحرائر، و شاعت فيهم الرذائل والعادات السيئة فأنكر عبد الله بن ياسين ذلك عليهم ذلك، وبدأ يعلمهم مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة وتفقيهم، ومكنته معرفته باللغات البربرية، وقدراته الخطابية من التأثير على الناس من حوله وجذبهم إليه من من سمع به في تلك الفيافي و القفار³.

في هذه المرحلة كان عبد الله بن ياسين تحت حماية يحيى بن ابراهيم الجدالي في مضارب جدالة، وكانت الدعوة تسير بشكل مرض، كما نقل كل من إيفان هربك وجان دافيس عن القاضي عياض « لقد أقنعه (أي أقنع يحيى ابراهيم) هو وقومه بقبول شرعة حياته ومثله... وطلب و فرض الالتزام الدقيق والصارم بإصلاح الممارسات المنافية للشريعة وبإنزال العقاب الشديد بمن يرفضون إتباع منهج التعليم الشرعي» وظل يحضى بكرم ضيافة هذه القبائل إلى أن نال وضعاً مرموقاً، وحتى أصبحوا على التعاليم الحقيقية⁴.

لم يُعرف تاريخ أنشطة دعوة عبد الله بن ياسين لدى صنهاجة إلا في خطوط عريضة⁵، فتفاصيل الأحداث غير معروفة و مشوشة المعالم وغير تفصيلية ولا دقيقة

1 - أحمد ابن محمد ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط3، ج 4، بيروت، 1983م، ص 10.

2 - الناصري، المصدر السابق، ص 7.

3- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 9. و أنظر أيضاً: الناصري، المرجع السابق، ص 7.

4- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 379.

5- المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويبدو أن معرفته الشاملة ببني قومه وطباعهم و لهجاتهم و حذاقته في اكتسابه طريقة عجيبة في تلقين الأتباع و المريدين، فنزل إلى مستوى بداوتهم ليفهمهم، ثم لقنهم المبادئ الصحيحة في الدين، فبدأ بالبسيط وتدرج بهم إلى المعقد، حتى إذا تمكن من نفوسهم وأقبلوا عليه بعقولهم أخذ يفسر لهم القرآن ويروي لهم الحديث، فنفذ إلى قلوبهم وأحبوه و وثقوا به¹.

أمر الشيخ عبد الله بن ياسين بالتخفيف عن كاهل الموالي(العبيد)، وجاهد في الحد من سطوة وجبروت السادة و النبلاء²، وكان مثالا يحتذى في الزهد و التقشف فكان يلبس الخشن و لا يأكل من عند القوم تعففا و حتى لا يأكل من مال مغتصب أو مسروق لأن القوم ألفوا عادات سيئة بعيدة عن الدين، وكان يأكل من عمل يده أو الصيد³، وبذلك يعد بن ياسين مثالا آخر عن علماء المالكية الزهاد مطابقا لنهج أسلافه من شيوخ وعلماء القيروان.

تعرضت دعوة عبد الله بن ياسين التي استمرت أكثر من عشر سنوات للمقاومة من أطراف عديدة بعد وفاة يحيى بن ابراهيم الجدالي⁴ (سنة 440هـ/1048م) فبعضهم استنقل توجيهاته ونواهيه على نفوسهم وهم من العامة، و آخرون رأوا فيه وفي دعوته منافسا لهم في المكانة والقدر وأصبحوا ينظرون إليه بعين الريب والشك، فقرروا محاربتة وحمل لواء تلك المعارضة أحد الفقهاء هو جوهر بن سكم(د ت) مع رجلين من وجهائهم يقال لأحديهما أيار(د ت)، والآخر اينتكوا(د ت) أو إنتكو⁵، فعزلوه عن الرأي، واستعادوا واستعادوا منه بيت المال وطرده، وهدموا داره⁶.

تباينت آراء المؤرخين حول ردة فعل عبد الله بن ياسين فمنهم من قال إنه ذهب إلى الشيخ وجاج ومنهم من قال إنه اكتفى بمكاتبته فقط ولم يذهب إليه⁷، فرد الشيخ وجاج

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 9.

2 - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص121.

3- البكري، المصدر السابق، ص165.

4 - عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق ص243.

5- البكري، المصدر نفسه، ص165.

6- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص9. و أنظر أيضا: البكري، المصدر نفسه، ص166.

7- البكري قال بذهابه، أنظر: البكري، المصدر نفسه، ص166، أما بن عذاري فذكر الروايتين، أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ص 9.

على ذلك بكتاب أرسله إلى بعض أشياخ جدالة»... يعاتبهم على ما صدر لعبد الله بن ياسين منهم وما بلغه من فعل المشغبين عليه، وهو مقيم بينهم و أخذ في ذلك أخذاً كلياً عليهم و عاتبهم عتاباً شافياً إليهم لكونهم كانوا قد انقادوا إليه، ثم انتقدوا ما شيعه عدوه عليه»¹.

فرد أشياخ جدالة بكتاب على الشيخ وجاج يعتذرون فيه على تقصيرهم في نصره عبد الله بن ياسين، فأمر الشيخ عبد الله بالرجوع إلى القبائل التي خرج منها، و بعث إليهم بكتاب فيه فتوى«أن من خالف عبد الله بن ياسين فقد فارق الجماعة، وأن دمه هدرا»².

2.2.2 المرحلة الثانية: الإعداد في الرباط و انطلاق الجهاد (444هـ/1052م - 450هـ/1059م):

أمر الشيخ وجاج عبد الله بن ياسين بالرجوع من جديد، ولكنه رجع إلى لمتونة³ التي كان أميرها هو يحيى بن عمر اللمتوني (توفي 447هـ/1056م) فوجد عندهم حماسة أكبر من بني جدالة وأشار عليه بمكان بعيد وهو جزيرة قريبة من شاطئ البحر التي أسار إليها البكري«...وبقرب أوليل في البحر جزيرة تسمى أيونى وهي عند المد جزيرة لا يوصل إليها من البر و عند الجزر يوصل إليها على القدم...»⁴، يمكنهم التعبد فيها و إقامة أمر الدين بعيداً عن المشاغبيين، فنزل الشيخ عبد الله بن ياسين على رأيه، خاصة أن هذا الرأي وجد هوى في نفسه الميل إلى حياة الرباط، و اعتياد العيش فيه.⁵

ذهب الشيخ عبد الله بن ياسين وصحبه الذين لم يتجاوزوا التسعة أو سبعة نفر إلى الجزيرة قبل سنة 444هـ/1052م ، واتخذوها رباطاً لهم، هناك بدأ الشيخ يعلمهم مبادئ الدين و يعلمهم شعائره ويحفظهم القرآن و يدرسه لهم السنة على المذهب المالكي،⁶فتناقل الناس أخبارهم، فقصده المريدون حتى تكاثر عددهم فكانوا عباداً زهاداً في الدنيا متلهفين

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 9.

2 - البكري، المصدر السابق، ص 166.

3 - إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 380.

4 - البكري، المصدر السابق، ص 171.

5- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 79.

6- المذهب المالكي: وهو أحد المذاهب السنية الأربعة إمامه هو أبو عبد الله مالك ابن انس ويلقب بإمام دار الهجرة أخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق.

إلى إقامة مبادئ الدين و إقامة الشريعة والنهي عن المنكر¹، وكانت حياتهم في الرباط تتسم بالبساطة و التقشف ، فكانت نفوسهم مخلصه لا تبتغي غير الدار الآخرة، متعاونه في سبيل الله، ترضى من الطعام بقليله ويرتدون أخشن الثياب، وكانوا متعبدين فيه متنسكين، ويزرعون الأرض حول رباطهم، ويربون الماشية أو يقومون بالصيد، وكان حجم الجماعة يزداد باطراد لأن عدد الملتحقين زاد مع سماع أخبارهم في مختلف القبائل، وحتى كان عبد الله بن ياسين يبعث بين الحين والآخر من يدعو في قبائل التكرور الذين كانوا أول الزوج الذين اعتنقوا الإسلام، وبعث أيضا إلى قبائل صنهاجة وحثهم على القدوم للرباط.²

فلما أصبح عددهم ألف رجل، جمعهم الشيخ بن ياسين مخاطبا إياهم «... يا معشر المرابطين، إنكم اليوم جمع كثير، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله حق جهاده...»³، فرد عليه أتباعه بقولهم «مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين، و لو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا» وبعث لكل قبيلة وفروعها برجالها من أتباعه يوضحون لهم الدين وينذرونهم، فلما رأى منهم غير المعصية وعدم قبول النصيحة أمر فيهم بالجهاد، وبدأ بمن استعصى عليه من قبيلتي لمتونة و جدالة⁴ وهاجموا سجالمة أيضا و كان ذلك بعد سنة من مكوثهم في الرباط.⁵

أما فيما يخص لقب المرابطين فمن ممكن أن تكون قد اشتقت بطريقة أو بأخرى من (دار المرابطين) التي أقامها الشيخ وجاج والتي عاش فيها عبد الله بن ياسين قبل أن يعكف على مهمته، وهناك تفسيرات تبناها بعض المؤرخين المعاصرين لا يتسع المجال أكثر لذكرها.⁶

1 ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص79.

2 - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص141-142.

3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 79.

4- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص243.

5- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص11.

6- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص381.

توطن الإسلام في صنهاجة على الوجهة التي يراها زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين، بينما كانت القيادة السياسية للمرابطين بقيادة الزعيم السياسي يحيى بن عمر اللمتوني وأخيه أبوبكر، بينما عصبيتها العرقية على أكتاف لمتونة بشكل أساسي الذين صمدوا في الفتوحات، وقاتلوا بكل ما أوتوا من قوة حتى ثبت عليهم لقب المرابطين ومنح بن ياسين يحيى بن عمر لقب أمير، وقد وصفهم البكري بقوله «وكان للمتونة في قتالهم شدة وجلد، ليس لغيرهم، وهم يختارون الموت على الانهزام»¹، وتقبلت الفروع المؤسسة الأخرى، وهم بنو مسوفة و بنو جدالة هذه القيادة العليا لأن عبد الله بن ياسين نزع من نفوسهم العصبية القبلية، وغرس فيهم روح الأخوة والسمو على الفوارق القبلية على الأقل في هذه المرحلة².

لم تكن عملية جمع صنهاجة تحت راية واحدة بالأمر السهل، خاصة و أن بني جدالة كانوا قد غلبوا على يد بني لمتونة في موقعة سابقة بعد رجوع عبد الله بن ياسين الثاني، لذلك في هذه الفترة التي تولى اللمتونيون الحكم فيها لم تكن خالية من التنافر بينهم وبين جدالة بل كانت بينهم حروب طاحنة أدت إلى قتل الأمير يحيى بن عمر اللمتوني بعد محاصرته سنة 447هـ/1056م في معركة تبفاريلا في أزوقي في الأدرار، وتولى بعده أخاه أبو بكر بن عمر الإمارة، لكن المرابطين لم يقوموا بمحاربة جدالة، التي انضم كثير منها فيما بعد إلى قوات المرابطين في قتالهم في المغرب، لكن التوتر بقي موجود بشكل عام بين القبيلتين، لكن علاقة الحركة مع بني مسوفة كانت أقل توترا، لكن بعد ذلك سرعان ما سو الخلاف سريعا، وأصبحت بين لمتونة و مسوفة تحالف صلب قاد الحركة إلى بسط نفوذها على لمطة، وانضم إليها أعضاء من زناتة ومصمودة أيضا والتحقت بهم جزولة³.

وخلال خمس سنوات من 445هـ/1053م إلى سنة 450هـ/1059م، قاد عبد الله بن ياسين المرابطين من نصر إلى آخر لأنه كان يقود المعارك بنفسه، فقام المرابطون بالعمل على كسر سيطرة الزناتيين في الشمال، فشنت الحملات الأولى في وادي درعة⁴،

1- البكري، المصدر السابق، ص 166.

2- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 382.

3- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع نفسه، ص 383.

درعة¹، قبل أن توجه إلى سجلماسة التي شكا سكانها لوجاج بن زللو فحرض عبد الله بن ياسين على إنقاذها من اضطهاد أميرها المغراوي "مسعود بن وانودين" (المتوفى 445هـ/1053م) سنة 445هـ/1053م²، فقاموا بالتفاوض معه لكنه لم يسلم فغزا المرابطون المدينة وقتلوه ونصبوا واحدا من ذويهم مكانه «...وقصدوا سجلماسة فدخلوها غالبا... وأصلحوا من أحوالها و غيروا المنكرات و أسقطوا المغارم و المكوس...»³، وبذلك سيطروا على المحطة النهائية الشمالية لطريق القوافل، ثم وجهوا حملتهم جنوبا إلى أودغشت سنة 446هـ/1054م فغزوها وقضوا على الزناتيين فيها، وبذلك سيطروا على طرق التجارة الثاني سجلماسة أودغشت مما مكنهم من السيطرة على طرق التجارة في المنطقة الغربية المؤدية إلى بلاد السودان الغربي، و لكن في أثناء ذلك ثار سكان سجلماسة على الحامية المرابطية الصغيرة، ربما لصرامتهم في التعامل مع أهل المدينة، استغلت جدالة تلك الظروف وأعلنت انفصالها وقتل في تلك الأحداث الأمير يحيى بن عمر كما أشرنا سابقا، وخلفه أخوه أبوبكر بن عمر الذي أعاد غزو سجلماسة و مراعي درعة⁴، بعد أن حل الجفاف بصحراء المرابطين وما حولها من أرض المغرب الأقصى، حينها أمر الشيخ عبد الله بن ياسين المرابطين بالخروج لجمع الزكاة من القبائل التي تسكن في الشمال المناطق التي يسيطر عليها المرابطون، والتي يبدو أنها كانت أحسن حال، فخرج الأمير أبا بكر ليأخذ الزكاة من أهل سجلماسة، الذين رأوا في قدوم المرابطين غزوا وليس طلب زكاة كما يصف النويري ذلك « وفي سنة خمسين وأربعمائة ، قحطت بلاد المثلثين ومات مواشيهم ولقوا شدة عظيمة. فأمر عبد الله ضعفاءهم بالخروج إلى السوس الأقصى وأخذ الزكاة. فخرجوا وقالوا : نحن مرابطون خرجنا إليكم من الصحاري نطلب حق الله من أموالكم . فجمعوا لهم شيئا له بال . فرجعوا به إلى الصحراء ... ثم ضاقت الصحراء بالمرابطين لشظفها وكثرتهم . فطلبوا إظهار كلمة الحق ، فخرجوا إلى السوس الأقصى فجمع أبو بكر جيشاً وخرج إلى بلاد السوس... فاجتمع عليه من قبائل بلاد السوس وزناتة اثني عشر ألف فارس .

1 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص11.

2- عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق، ص243.

3- عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق، ص244.

4- البكري، المصدر السابق، ص 167.

فأرسل إليهم رسلاً وقال لهم : افتحوا لنا الطريق ، فما قصدنا إلا غزو المشركين . فأبوا ذلك واستعدوا للقتال . فنزل أبو بكر وصلى الظهر على درفته ثم قال : اللهم إن كنا على الحق فانصرنا عليهم ، وإن كنا على الباطل فأرحنا بالموت مما نحن فيه . ثم ركب ولقيهم فانهزموا ...، واستباح أسلابهم وأموالهم وعددهم . فقويت نفسه ونفوس أصحابه...»¹

وفي خضم تلك الأحداث أظهر عبد الله بن ياسين على أنه لم يكن مصلحا ورعا وزاهدا ومحاربا شديد المراس فحسب، بل وأنه سياسي داهية فبإجراء دبلوماسي² بارع توصل دون قتال إلى إخضاع بربر مسمودة³ في جبال الأطلس سنة 450هـ/1058م وكذلك مدينة أغمات واستولى على سجلماسة و أعمالها والسوس كله، وفي إجراء آخر زاد من توطيد حلفهم، تزوج أمير المرابطين أبوبكر بن عمر بزینب النفزاوية⁴، إحدى كريمات سيد أغمات، فألحق هذا الانضمام بالمرابطين مناطق واسعة من جنوب المغرب دون قتال، واستأصل المرابطون جميع المذاهب والديانات المارقة التي كانت منتشرة في تلك المناطق، وحل مكانها الدين الإسلامي على المذهب المالكي و أخذ يفرض نفسه في صورته المرابطية⁵.

تلقى المرابطون ضربة شديدة في أثناء جهادهم ضد أعداء أهل السنة والإسلام، وهم بنو برغواطة، فهزموا عام 450هـ/1058م، واستشهد الشيخ عبد الله بن ياسين في المعركة التي وقعت قرب كريفلة ودفن بها.⁶

-
- 1 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق :مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية ،ط33،1جزء، بيروت / لبنان ، 1424 هـ / 2004 م، ج24 ، ص ص 143-144، أنظر أيضا:بن الأثير، المصدر السابق، ص329.
 - 2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص11..
 - 3- وهم من ولد مسمودة بن يونس، بربر فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم. ومن بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن، أنظر: عبد الرحمان بن خلدون. المصدر السابق، ج6، ص206.
 - 4- زينب بنت إسحاق النفزاوية ،كانت بارعة الجمال والحسن وكانت أيضا حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بإدارة الأمور.
 - 5- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص384.
 - 6- وهي ربوة قريبة على مدينة الرباط بالمغرب تطل على وادي كريفلة أحد فروع وادي ابر الرقراق، ولا يزال قبره قبره لحد الآن يسميه الأهالي سيدي عبد الله مول الغارة.

3.2 تولى الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني الزعامة و بناء مراكش (450هـ/1058م-463هـ/1070م):

بعد انتهاء الأمير أبوبكر من دفن عبد الله بن ياسين، جند الجيوش من المرابطين، فغزا برغواطة، حتى استأصل شأفتهم، فقتلهم و لما تفرقوا، لاحق فلولهم واستمر على ذلك حتى أسلموا، وعادوا عن البدع والزندقة و التجديف والتحريف الذي أدخلوه على الدين الإسلامي، ولم يبقي لتلك الديانة المنحرفة أثرا، وقد جمع أموالهم و أملاكهم وقسمها على المرابطين.¹

بقي الأمير أبو بكر بن عمر بأغمت حتى سنة 452هـ/1060م فرص الصفوف من جديد، وتم اختيار خلف لعبد الله بن ياسين، ثم اتجهت قوات المرابطين إلى الشمال وراء قوات البتر الفارة من معركة أغمت و تادلة وكذلك لإخضاع الإمارات الزناتية، فأخضعت بني يفرن، واستحوذ المرابطون على مدن فازاز و لواته و مكناسة.²

في هذه الفترة أيضا قام بلكين الحمادي (توفي 454هـ/ 1062م) بالهجوم على الإمارات الزناتية من الخلف فأحدث بلبلة وسطها ولكنه سرعان ما انسحب، وأحست قبائل البتر بأنها وقعت في رحي صنهاجة، وتعتبر هذه الحركة من بلكين الحمادي عن مدى البعد القبلي لهذا الصراع للسيطرة على بلاد المغرب وعلى الإحساس الوثيق بالقرابة بين صنهاجة الشمال و صنهاجة الصحراء و إعتقادهما أنهما يحاربان عدوا مشتركا³.

أخذت الدولة تتوسع و تتطور فبدأت تنتقل من مرحلة الجهاد و القتال التي تتطلب نمطا معيناً من التفكير والعمل للوجود إلى مرحلة بناء الدولة التي تتطلب نوعاً من السياسة واللين في إدارة شؤون المجتمع، ولما ثقل الأمر وتشعب نظراً لشساعة الرقعة

1- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 85.

2- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 199.

3- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 200.

الجغرافية أسند الأمير بعض مهامه إلى ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين،¹ وجعله على رأس الجيش الغازي لإقليم السوس سنة 461هـ/1069م.²

جعل الأمير أبو بكر بن عمر من مدينة أغمات مركزاً لقيادته، وهناك توافد على الأمير أعيان ووجهاء معهم من الجند من الصحراء حتى ازدحمت بهم أغمات، فضج أهلها بالشكوى على الأمير أبي بكر فطلب من من حوله فقال لهم «عينوا لنا موضعاً أبني فيه مدينة- إن شاء الله تعالى»³.

وقع في بداية الأمر لغط بين القبائل كاد يتحول إلى نزاع حول موقع بناء العاصمة الجديدة حتى ينسب شرف البناء إليها، ولكن في الأخير وقع الاختيار على مكان بين هيلانة وهزميرة في سهل به الكثير من الزرع و الماء و قالوا له: «قد نظرنا لك أيها الأمير موضعاً صحراء رحب الساحة، يليق بمقصدك يكون وادي نفيس جناتها، وبلاد دكالة فدانها، وزمام جبل درنة، بيد أميرها»⁴.

انطلق الأمير بجيوشه حتى بلغ سهل مراكش، وبدأ عملية البناء وكان ذلك سنة 454هـ/1062م، وقد شارك شيوخ القبائل الأمير في ذلك، فأعانوه بالمال والرجال، وبنى داراً من حجر، وتبعه الناس في بناء الدور كل على قدر استطاعته⁵، وهناك تاريخ آخر تبناه بعض المؤرخين المعاصرين لبناء مراكش وهو سنة 463هـ/1070م.⁶

جعل المرابطون منذ البداية ولاءهم الروحي للخلافة العباسية فنقشوا على نقودهم ذلك، فأعلنوا تبعيتهم لها وتسمى قائدهم بأمير المسلمين وناصر الدين.⁷

1- يوسف بن تاشفين : وهو أحد قادة المرابطين الذي أصبح القائد الأوحدهم خاصة بعد وفاة ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين لأنه هو الذي وطد أركانه هذه الدولة وأعطاهم كياناً دولياً ثابتاً.

2- ابن عذاري، المصدر السابق، ص18.

3- ابن عذاري، المصدر نفسه، ص19.

4- ابن عذاري، المصدر نفسه.

5- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص6.

6- إيفان هربك وجان دافيس، المرجع السابق، ص385.

7- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص17.

أثناء إشراف الأمير أبوبكر بن عمر على بناء مراکش حوالي سنة 463هـ/1070م ،
جاءه رسول من الصحراء يخبره بإغارة جدالة على لمتونة واحتدام القتال بين
الفريقين، وكان هناك صراع دائم بين لمتونة وجدالة¹ يظهر بين الفينة والأخرى.²
أعلم الأمير أبوبكر بن عمر شيوخ لمتونة بما حدث، وأبلغهم أيضا بذهابه إليهم
شخصيا ليصلح الأمر بين جدالة و لمتونه، لأن الأمير كان يعز عليه اقتتال رعيته من
المسلمين، وطلب من شيوخ لمتونة أن يختاروا رجلا من بينهم يستخلفه عليهم.³
علق الدكتور دندش على هذه الحادثة فقال: «كان الصراع ينطوي على تهديد خطير
لحركة المرابطين في الوقت الذي كانوا يتحفزون فيه لمنازلة أعدائهم كما يبدو أن بلاد
السودان المتاخمة لبلاد الملثمين، قد انتهزت فرصة هذا الصراع فحاولت الانقضاض
عليهم، لذلك لم يجد الأمير أبو بكر بن عمر بدا من أن يمضي بنفسه إلى الجنوب،
ليقضي على هذه الثورات...حتى لا تتفرق الكلمة...وحتى يستمر التدفق البشري من
عصر الملثمين نوي الملكة الحربية الفائقة...»⁴.
وقع اختيار الشيوخ على يوسف بن تاشفين ابن عم الأمير أبوبكر بن عمر ليستخلفه
على محله في المغرب، كان الاختيار بسبب بعد نظره و لساداد رأيه وقدراته القيادية،
وقبل انطلاق الأمير أبوبكر بن عمر إلى الصحراء طلق زوجته زينب لأنه كان يخشى
عليها مشقة السفر و الحرب في الصحراء فقال لها «...يا زينب...إني سائر إلى
الصحراء برسم الجهاد، لعلي أرزق الشهادة، والفوز بالأجر الوافر و أنت امرأة لطيفة لا
طاقة لك على بلاد الصحراء...» ، فطلقها، ثم تزوجت يوسف بن تاشفين، تنفيذًا لوصية
الأمير أبوبكر التي قالها ليوسف بن تاشفين: «تزوجها فإنها امرأة مسعودة»⁵.
ومما سبق ذكره يمكن أن:

تحولت الجماعة إذن من حركة إصلاحية سلمية إلى حركة مجاهدة عقد أعضاؤها
العزم على نشر الدعوة و المذهب المالكي عن طرق الإقناع أو الجهاد، ونشأ نوع من

1 - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 6.

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 20.

3 - الناصري، المرجع السابق، ص 19.

4 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 100.

5 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 21.

السلطة المزوجة، لأن عبد الله بن ياسين تولى الزعامة الدينية و إدارة بيت المال وترك الزعامة السياسية ليحيى بن عمر اللمتوني، ومن الأمور التي زادت في تعزيز وحدة صنهاجة وقوتها وخروجها من الصحراء، هو الضغط الاقتصادي نتيجة الجفاف والحصار الذي ضرب من قبائل البتر في ما مضى، وطمعا وراء المغنم فيما يأتي من قبل عامة المرابطين.

اتسم الداعية عبد الله بن ياسين بالشدّة و الحزم في تطبيق الشريعة وحتى أنه أتهم من قبل معارضيه بأنه جانب الصواب في بعض المسائل الفقهية¹، والتضييق في الأحكام حتى التشدد والغلو، كان مزواجا فكل ما سمع بامرأة جميلة إلا وخطبها² ومع ذلك كان متقشفا في أمور حياته عابدا زاهدا، اكتفى في هذا المجتمع البدوي بكل ما للكلمة من معنى بدور الزعيم الروحي أو العالم الشيخ الذي يُعلم و يُنظر و يلهم القادة وابتعد عن تبوء مناصب الرياسة والزعامة السياسية نظرا لعلمه وورعه وإخلاصه لدعوته، أو أنه رجل يعرف طبيعة المجتمع البدوي الصنهاجي الذي لا يقبل بطبيعته رياسته من غير بني عشيرتهم، فنقول عنه انه رجل حذق فطن يعرف كيف تدار الأمور وتعليقنا الأخير لا ينقص من إخلاص الرجل لعقيدته ودينه أو صدق النية في دعوته أو يزيده شيئا.

تابع الأمير أبوبكر الطريق الذي كان قد رسمه شيخه عبد الله بن ياسين، و قد جمع بين الزعامتين السياسية والدينية فتحوّلت حركة الجماعة الإصلاحية الدينية إلى مملكة، وبدأت السلطة الروحية تتراجع أمام السلطة السياسية، فغلبت الصفة السياسية أكثر في الأخير، وأسس الأمير أسرة حاكمة.

دانّت معظم أرجاء المغرب الأقصى للمرابطين، تارة بالسياسة و اللين و أخرى بالمصاهرة و ثالثة بالسيف و القتال حتى بلغ الأمر التطهير العرقي و العقدي.

1- البكري، المصدر السابق، ص169.

2- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 84.

الفصل الثالث

3. موقع بلاد السودان الغربي وأوضاعها قبيل دخول المرابطين.

1.3 موقعها ووصفها الجغرافي.

2.3 الأوضاع قبيل دخول المرابطين.

أ- قبائل السودان الغربي.

ب- وضع بلاد السودان الغربي قبيل تدخل المرابطين.

1.3 موقعها ووصفها الجغرافي:

بلاد السودان هي تلك المنطقة التي عرفها الكتاب العرب و المؤرخون المسلمون الأوائل أنها مشتقة من لفظ السود وتعرف جغرافيا باسم الحزام السوداني الممتد في قلب القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب¹.
بلاد السودان هي بلاد كثيرة و أرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري و شرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط².

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط1 دار نهضة الشرق القاهرة ، 1985، ص62 عن موقع الجزائر توداي.

2- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ب د ن)، (د ط)، (د س) ص15. (ن إ) من-al-

ويطلق اسم بلاد السودان الغربي(غرب إفريقيا) على المنطقة الممتدة فيما بين المحيط الأطلسي غربا و بحيرة تشاد شرقا، شمال نطاق الغابات الاستوائية و جنوب الصحراء و هي تنحصر بين خطي عرض 11-17 شمالا¹، فهي تشمل حوض نهر السنغال والمناطق المحيطة به وفولتا العليا و نهر النيجر الأوسط وشمال هذه المناطق. يبدو من خلال ما ذكره " جوان جوزيف " حول إفريقيا في كتابه أن المناطق الصحراوية الإفريقية حديثة التكوين، ولم تكن إفريقيا فيما مضى تضم كل هذه الصحاري.²

تتميز بلاد السودان الغربي بوجود تكوينات صحراوية في شمالها وتتمثل في :
أ. صحراء العرق :تغطيها تكوينات هشة من رمال ناعمة و خشنة بصفة عامة، ومن الطبيعي أن تكون عوامل التعرية هي وراء تشكيل كثبان رملية متنوعة لكي يفقد السطح الرتابة.

ب. صحراء الرق :تكسوه تكوينات خشنة من الحصى ومفتتات الصخر و الرمال، وتتناثر تلك الكتل الصخرية من الأحجام المتفاوتة ليفتقد السطح الرتابة.

ج. صحراء الحمادة : وهي صخرية صلبة بصفة عامة و هذا يعني افتقارها للمفتتات والتكوينات السطحية³.

السهول :و هي عبارة عن سهول ساحلية ضيقة نتيجة اقتراب حافة الهضبة القديمة، لكنها تتسع في منطقتين هما سنجامبيا التي تشمل سهول السنغال ومنطقة دلتا النيجر و مجراه الأدنى، وقد نشأت نتيجة للإرسابات النهرية وتراجع البحر في سنجامبيا.

الهضاب : وهي متوسطة قليلة الارتفاع في مناطق معينة، تعلوها كتل هضابية متفاوتة الارتفاع والحجم وأهمها، هضبة فوتاجون في الجنوب الغربي في غرب إفريقيا وهضبة جوش شمال نيجيريا.

1- أحمد الشكري ، الإسلام و المجتمع السوداني، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 1999،ص 59 لمزيد من التفاصيل حول الموقع الجغرافي انظر ملحق رقم 1 .

2- يحي بو عزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20. دار النشر و التوزيع، الجزائر،ص 9.

3- يسري الجوهري، جغرافيا العالم الإسلامي، ط 1 ، مركز الإسكندرية للطباعة و النشر، 1998،ص 51.

الأنهار: وهي سريعة الجريان تتحدر على منحدراتها الغربية أهمها كافاكل و سانت بول، وأما التي تنبع من منحدراتها الشرقية الشمالية فهي طويلة أهمها السنغال والنيجر.¹

المناخ: يسود غرب إفريقيا مناخ شبه استوائي يتميز بارتفاع عام في الحرارة و زيادة كبيرة في نسبة الرطوبة، كما يتميز بثبات عام في الأحوال الجوية و الفروق الحرارية، وتشهد هذه المنطقة هبوب رياح تجارية قادمة من الضغط العالي من جزر ازور وهي باردة مشبعة بالرطوبة و رياح موسمية تهب من المحيط الأطلسي دافئة مشبعة بالرطوبة و رياح صحراوية جافة تأتي من الشمال و الشمال الشرقي .

2.3 الأوضاع قبيل دخول المرابطين:

أ- قبائل السودان الغربي:

أطلق الرحالة و المؤرخون العرب على هذه القبائل اسم السودان، فالإصطخري يصفهم بقوله: «وسكانها ليسو بنوبة، ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة، إلا أنهم أشد سوادا من الجميع، وأصفى... وليس لها اتصال بشيء من الممالك و العمارات إلا من وجه المغرب، لصعوبة المسالك بينها و بين سائر الأمم...»².

كان أغلبها يستوطن شمال نطاق الغابات الاستوائية، في الغرب على طول امتداد نهر السنغال عاش شعب التكرور، بينما في الشرق على امتداد الشاطئ الأيسر لنهر النيجر بين مدينتي تلابري وبوسا الحاليتين عاش السرير والولوف.³

1- محمد رياض، إفريقيا دراسة لمقومات، ط2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، لبنان 1973، ص 102

2- أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي الإصطخري، المسالك والممالك، (ب د ن)، (د ط)، (د س)، ص 20. (ن إ) من

.al-mostafa.com

3- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 43.

وهم بشكل عام من الزنوج، سواء ممن يعيشون في منطقة الغابات أو في الأراضي الزراعية المكشوفة التي تقع في شمالها بين الصحراء ونهري السنغال والنيجر، أما الأقوام الذين يعيشون في منطقة الغابات فهم أكثر زنجية من ناحية الدم، وبشرتهم أكثر سوادا من إخوانهم في الشمال ويرجع ذلك إلى انه في خلال العصور السابقة، كان السودان الغربي معرضا لنفوذ وتأثير الشعوب غير الزنجية من سكان الصحراء و مصر و بلاد المغرب.¹

التكرور أو التكلور شعب زنجي يسكن الجزء الأوسط من وهاد فوتا السنغالية على جانبي نهر السنغال، وإن كان أكثرها على الجانب الأيسر منه، وتنتشر مواطن التكرور أيضا في أنحاء إفريقيا الغربية، و خاصة في السنغال الأعلى.²

وذاع سيط التكرور حتى أن اسمهم كان يطلق على أهل السودان كلهم، وكانت تعني عند العرب أرض المسلمين السود، أسلم التكرور قبل غيرهم من قبائل بلاد السودان الغربي، و في حوالي سنة 430 هـ/1039م اعتنق الإسلام الملك وارجابي بن رابيس (المتوفى 432هـ/1041) حسب ما ذكر البكري: «...حتى ولهم وارجابي بن رابيس فأسلم و أقام عندهم شرايع الإسلام وحملهم عليها ... وتوفي ورجبي سنة اثنتين و ثلاثين و أربع مائة...»³.

و يوجد في المنطقة شعب آخر، هم قبائل الفولاني، الذين يعرفون حاليا في السنغال باسم التكرور، وكانت أوطانهم الأولى في أواسط السنغال، وقد وقعوا تحت تأثير دعاة من البربر، حيث كانت تأتي جماعات من البربر من الشمال وراء المرعى، إلى منطقة السفانا، في منطقة فوتا تورو في اتجاه الجنوب و الغرب، وحدث امتزاج بين هذه الجماعات و السكان الأصليين فتصاهروا، وحفظت البربر لهجاتهم، وبذلك انفصلت هذه الجموع عن أصولها في الشمال، بعد أن استقروا ووجدوا المرعى.⁴

أما قبائل الماندنغو، أو المنادي فقد انتشرت لقرون في المناطق الممتدة بين ساحل المحيط الأطلسي و نهر النيجر، و الماندنغو تعبير لغوي يطلق على عدة قبائل تحمل

1- القزويني، المصدر السابق، ص24، (ن إ) من al-mostafa.com .

2- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص44.

3 -البكري، المصدر السابق، ص172.

4 -عصمت عبد الطيف دندش، المرجع السابق، ص44.

أسماء مختلفة مثل ديولا ، خاسونكي، بامبار ،وسننكي ومالنكي، أو ماندنكا، و للماندنجا صفات مميزة حيث أنهم طوال ونحيلون تشبه تقاسيمهم السحنة القوقازية شعر لحاهم غزير مقارنة ببقية الزنوج، وسمرة بشرتهم خفيفة، وهم من المزارعين المهرة.¹ أما قبائل السرير فقد استوطنت ما بين نهري السنغال ونهر جامبيا، بجوار التكرور و إلى الجنوب من الرأس الأخضر، بل إنهم يعتبرون جزءا من مملكة التكرور مع قبائل الولوف.

أما قبائل الولوف فمضاربهم شمال نطاق الغابات تمتد إلى الجنوب من نهر السنغال، وتنسب الروايات الشعبية أصول الولوف إلى قبائل من البربر و الفولبي، و السرير و الماندنكا،

و يعتقد على نطاق واسع أن الولوف كانوا يشغلون المناطق الشمالية من نهر السنغال إلى وقت قريب، ولكن ضغط البربر و الفولبي ، القادمين من مملكة التكرور، دفع بهم جنوبا تجاه المنطقة بين نهري جامبيا والسنغال، وهي المناطق التي ما زالوا يستوطنونها حتى يوم هذا.²

وتقاسيم وجوه الولوف زنجية، وبشرتهم سمرتها شديدة، يقوم أغلبهم على ممارسة الزراعة كمورد أساسي، أما اقتناء قطعان الحيوانات فيكاد يكون محصورا بين أسر الطبقة الغنية، يتميز النظام الاجتماعي عند الولوف بوجود طبقات متعددة ومتميزة على بعضها البعض، ولا تسمح تقاليدهم للشخص أن يتزوج من خارج طبقتهم ، وأرفع طبقة هي الأحرار أصلا، ثم تليهم طبقة أتباعهم الذين حرروا، ثم يأتي أصحاب الحرف مثل الحدادين ودباغي الجلود في المرتبة الثالثة، وبعدهم طبقة المنشدين، و أخيرا العبيد المتحررين وأبناؤهم.

أما قبائل السوننك فكانت تعيش في الصحراء ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية، فيما عرف باسم (الساحل حاليا)، واليوم يعيشون بالقرب من ساحل المحيط وقد امتزجوا بالبربر، والفولانيين، وهم من الزراع الذين ارتبطوا بالأرض غير أن هذا لم يحل دون اشتغالهم بالتجارة، ولعل اختلاط السوننك بغيرهم من العناصر، ولاسيما

1 - عصمت عبد الطيف دندش، المرجع نفسه.

2- عصمت عبد الطيف دندش، المرجع السابق ، ص45.

البربر هو الذي غير بعض الشيء في لون بشرتهم، وقد أقاموا اقوي إمبراطوريات السودان الغربي وهي إمبراطورية غانة¹.

أما قبائل الصنغاي فتتكون من جماعتين رئيسيتين هما المزارعين وصائدي الأسماك في إقليم منحني النيجر، أما مجموعات الصوصو فهم منحدرون من فروع قبائل الفولاني.

ب- وضع بلاد السودان الغربي قبيل تدخل المرابطين:

كان معظم بلاد السودان في ذلك الوقت تحكمه إمبراطورية غانة التي تعتبر من أقدم ممالك غرب إفريقيا شمال نطاق الغابات، والتي يرجع تاريخ نشأتها إلى الفترة ما بين القرن الثالث، والرابع الميلادي².

ويبدو أن كلمة غانة كانت لقباً يطلق على ملوكهم كما يقول الدمشقي «...وغانة اسم علم على كل من يملك هذا الصقع كما يطلق البخبور على من يملك الصين و قاقان على من يملك الترك...»، ثم اتسع مدلول هذا الاسم، حتى أصبح يطلق على العاصمة و الإمبراطورية³.

وحكم هذه الإمبراطورية في أواخر القرن الثامن الميلادي /الأول الهجري أسرة من السوننكي،⁴ وهم امتداد من الماندنغو، وارتفع شأن غانة في عهد السوننكي وبلغ ذروته، فأصبحت تسيطر على كل المناطق بين أعالي نهر النيجر وأعالي نهر السنغال، ، فبلغت

1- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص46-45.

2 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص108.

3 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، (د.ن) ، (19-)، ص240.

4 - بلغ عدد ملوك هذه الأسرة 44 ملكا ، 22 قبل بعثة النبي عليه السلام ، 22 بعد البعثة . كعت (القاضي محمود كعت) : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ص 42 عامر (تاريخ السودان ص 95 . الجيوش وأكابر الناس ص 42 .

سيطرتها من بلاد التكرور¹ أو السنغال الحالي غربا، وإلى تنكبت شرقا وينابيع النيجر جنوبا، وأغلب الصحراء المحاذية للبحر المحيط.²

مثلت التجارة المصدر الأساسي لاقتصاد إمبراطورية غانة وكانت تجارة الذهب المورد الرئيس، حتى عرفت ببلاد الذهب، وبأن أرضها مليئة أو هي ذاتها ذهباً³ وبذلك عد أباطرة غانة من أغنى أباطرة الدنيا، لما يملكون من ذهب.⁴ الحقيقة أن إمبراطورية غانة لم تكن مناجم الذهب الرئيسية تحت سيطرتها مباشرة، بل كانت تمتلك السيطرة المطلقة على الطرق الرئيسية المؤدية إلى مناجم الذهب في وانقارا، وفي وقت لاحق استطاعت أن تسيطر على بعض هذه المناطق خاصة مناجم غيارو.⁵

استثمرت غانة موقعها بين بلاد الزنوج في الغابات الغنية بمناجم الذهب و بلاد الصحراء التي تعبرها القوافل المحملة بالسلع سعيا وراء الذهب، ففرضت الضرائب على الواردات و الصادرات، فزاد في ثروتها، حتى أصبحت مدينة غانة العاصمة، حاضرت بلاد السودان وتقام بها أكبر الأسواق، وكانت عبارة عن مدينتين، أحدهما يسكنها الملك، والأخرى يسكنها المسلمون⁶، فيصفها البكري بقوله: « ومدينة غانة ، مدينتان ، سهيلتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة، فيها اثني عشر مسجدا، أحدهما يجمعون فيه »⁷ أما مدينة الملك فهي على بعد ستة أميال من مدينة المسلمين وتسمى بالغابة، والمساكن بينها متلاصقة، مبنية بالحجارة، والخشب و للملك قصر محاط بقباب، وكل ذلك أحيط بحائط كالسور ، وقي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يأتي لزيارته من المسلمين، وحول مدينة الملك قباب و غابات، يسكن فيها

1- التكرور تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وهي بذلك تقابل على الضفة اليمنى مجال انتشار قبيلة جدالة الصنهاجية. اسلم ملكها ورجاني بن رابيس في أوائل القرن الخامس الهجري. وإليها تتجه قوافل المغرب الأقصى بينها وبين سجلماسة أربعون يوماً . انظر : البكري : مصدر سابق ، ص 172، الإدريسي: مصدر سابق، ص18.

2 - عصمت عبد الطيف دندش، المرجع السابق، ص110.

3 - الفزويني ، المصدر السابق، ص 37 .

4 - ابن حوقل ، صورة الأرض، ص 98 .

5 - غيارو تبعد عن العاصمة غانة مسيرة 18 يوما . البكري ، المصدر السابق ص 177 .

6 - الإدريسي ، المصدر السابق ص 9.

7 - البكري ، المصدر السابق ص 175 .

سحرتهم الموكلين بإقامة الشعائر الدينية، وفيها دكاكيرهم¹، وقبور ملوكهم « وكان ملوك هذه الإمبراطورية، وعامة شعبها يدينون بالوثنية » و بعضهم يدين «بالمجوسية، وعبادة الدكاكير²».

و أصبح للمسلمين التجار في إمبراطورية غانة لمن استقر منهم بالعاصمة نفوذ كبير خاصة بعد ازدياد عددهم، وذلك لتحكمهم في أغلب تجارة بلاد السودان.

كان لغانة قوة عسكرية كبيرة وصفها البكري : « فإذا احتفل ملك غانة، ينتهي جيشه إلى مائتي ألف، منهم رماة أزيد من أربعين ألف، وخيل غانة قصار جدا³ أسلحتهم مصنوعة من الحديد، كالسيوف ، والحراب ، و الرماح ، و الخناجر فضلا عن الأقواس وغيرها، بينما لم يكن في حوزة جيرانهم في الغابات من الأسلحة سوى قضبان من الأبنوس.⁴

كانت العلاقة متوترة بين إمبراطورية غانة، و جيرانها من البربر المثلثين في الصحراء، حدثت بينهم صراعات وحروب، وقام كل منهما بالاستيلاء على أراضي الآخر، وكثيرا ما أفلحت غانة في استغلال تشتت صنهاجة، وسيطرت على مناطق واسعة من أراضيهم كما أشرنا في الفصول السابقة.

1 -الدكاكير : الأصنام ، البكري ، المصدر السابق ص 172 .

2 -البكري المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

3 - البكري، المصدر السابق ص 177 .

4 - نوع من أنواع الخشب أسود اللون وشديد الصلابة. عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص111.

الفصل الرابع

4- دور المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي.

1.4 حملات أبو بكر بن عمر اللمتوني واستشهاده.
أ - حملات الأمير أبو بكر بن عمر لتوحيد المرابطين وغزو غانة (السوننكي)

ب - حملت الأمير أبو بكر بن عمر على إمبراطورية غانة وجوارها
ج- استشهاد الأمير أبو بكر بن عمر:

3.4 جهود يوسف بن تاشفين وأعماله في السودان الغربي.

4.4 جهود وأعمال علي بن يوسف بن تاشفين.

1.4 حملات أبو بكر بن عمر اللمتوني واستشهاده:

أ - حملات الأمير أبو بكر بن عمر لتوحيد المرابطين وغزو غانة (السوننكي):

(463/453 هـ - 1061 / 1071 م)

توجه الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء، بعد أن ترك ثلث الجيش مع يوسف بن تاشفين، بينما أخذ بقيت الجيش معه¹، ثلث جعله رديفا دائما، والثلث الباقي صحبه إلى الصحراء².

أخذ الأمير أبو بكر بن عمر طريقا مرت بتادلا، و سجلماسة، ثم اتجه جنوبا إلى مضارب القبائل المتنازعة، وأصلح بين المتخاصمين وأزال أسباب الخلاف، وأعاد إلى الصحراء أمنها ورأى أن يوجه جهودهم لمحاربة الوثنيين من بلاد السودان، حتى ينشغلوا في هذا الجهاد عن منازعتهم المستمرة.³

1 - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 21، أنظر أيضا، بن الخطيب، المصدر السابق، ص 13.

2- أشار بن أبي زرع ومن نقل عنه أن الجيش قسم قسمين قسم اتجه مع الأمير أبي بكر، والآخر بقي مع يوسف بن تاشفين، أنظر، بن أبي زرع، المصدر السابق، ص 134.

3 - ابن أبي زرع، المصدر السابق ص 134 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ص 309.

وكانت قاعدة انطلاقهم نحو بلاد السودان الغربي مدينة أودغشت التي أصبحت عاصمة المرابطين في الجنوب، أقام بها الأمير أبو بكر حتى تجمع لديه جند كثيرون من قبائل صنهاجة، وانطلق منها مبتغيا الجهاد ضد أتباع ملك غانة من السوننكي¹.

وفق الأمير أبو بكر بن عمر في فتح كثير من بلاد السودان وخضوعهم للمرابطين، فعرض عليهم الإسلام أو يدفعوا الجزية، وقد استطاع الأمير أبو بكر أن يفتح من مختلف مناطق السودان مسيرة ثلاثة أشهر (تسعون مرحلة)².

إن خط سير الأمير أبي بكر بن عمر في جهاده في بلاد السودان لم تشر إليه المصادر التي تحدثت عن المرابطين في بلاد السودان بوضوح، هل سار في اتجاه الجنوب الشرقي؟ أو الجنوب الغربي؟ ولكن يبدو انه اتجه شرق مدينة أودغشت، لأن الجنوب الغربي كان يوجد به بعض بلاد السودان المسلمة مثل كوغة، وسلى، ومملكة التكرور المسلمة، ولم يكن من عادة المرابطين مهاجمة البلاد الإسلامية، كما أن الملك تارم ملك أنبار، التي تقع على بعد ستة مراحل غرب غانة في مناوشات دائمة مع ملك غانة³ لذا يبدو أن الأمير أبا بكر فضل الاتجاه إلى الجنوب الشرقي، فاستولى على بعض البلاد التي تخضع للوثنيين، حتى استطاع أن يستولي على مسيرة ثلاثة أشهر من بلاد السودان، ونشر بها الإسلام⁴.

عندما كان الأمير أبو بكر يصل ما انقطع بين صنهاجة الصحراء في الجنوب ويجاهد الوثنيين في بلاد السودان، كان يوسف بن تاشفين في نفس الوقت يحرز تقدما وراء آخر، ويزيد من رقعة الدولة في المغرب⁵.

عندما أتم الأمير أبو بكر ما جاء من أجله ترك صنهاجة الصحراء ورجع عائدا إلى المغرب الأقصى، حتى وصل تخوم مدينة أغمات، وعسكر بجنده خارج المدينة، وكان ذلك سنة 464 هـ/1071م. تهاقت من مع الأمير أبوبكر للقاء الأمير يوسف بن تاشفين

1 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص101.

2 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 13. ابن أبي الزرع، المصدر السابق ص 135. ابن خلدون، المصدر السابق ص 377.

3 - البكري، المصدر السابق ص 179.

4 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص103

5 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه.

ولمشاهدة مراكش، التي أتم بناءها يوسف بن تاشفين، بمساعدة جميع القبائل الموجودة في المنطقة، وبدوره أغدق عليهم، وبذلك استقر حكم المرابطين في بلاد المغرب الأقصى كله¹، وعندما اجتمع عدد كبير من الوافدين عند الأمير يوسف بن تاشفين من أتباع الأمير أبوبكر بن عمر، أوصى لهم على قدر منازلهم، وأعطاهم الهدايا من خيول وكسوة فاخرة وغيرها².

أرسل الأمير أبو بكر بن عمر إلى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه بقدمه، ذكرت معظم المصادر التاريخية هذه الحادثة بشكل فيه كثير من الإسهاب³، فيقولون أن الأمير يوسف أراد أن يستأثر بحكم المغرب، وأن الأمير أبا بكر عرف بذلك ورجع ليخلعه ويولي غيره.

استشار يوسف بن تاشفين زوجته زينب النفزاوية إذ كانت ذات رأي راجح ونظرة ثاقبة وكان كثيرا ما يرجع إليها، ويأخذ برأيها لسدادته وحسن سياستها، فأشارت عليه بقولها: «إن ابن عمك رجل متورع من سفك الدماء، ولا تسهل عليه الفتنة» فاستقبله الأمير يوسف بالغلظة والجفاء، وأشعره بقوة سلطانه من غير أن يحط من قدره وأغدقه بالهدايا والطعام بما يصلح للصحراء حتى يعرف حقيقة الأمور⁴.

التقى الأمير يوسف بن تاشفين الأمير أبي بكر، وهو في جنوده وسط موكب كبير محاط بالحرص والعبيد، وتعهد لقائه في منتصف الطريق بين مراكش وأغمات فسلم عليه وهو على صهوة جواده، ولم تكن هذه عادته ثم ترجل، فتعجب الأمير أبو بكر بن عمر مما رأى من عظم موكب الأمير يوسف، وكثرة جنده، وقال له «يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش كلها، قال استعين بها على من خالفني»⁵

عمد الأمير يوسف إلى أخذ عدد كبير من الإبل والأموال معه، عندما نظر الأمير أبوبكر إلى هذه الجمال المقبلة نحوه، فقال «ما هذه الإبل موفورة» فرد الأمير يوسف

1 - ابن عذاري، المصدر السابق ص 21.

2 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 14، ابن عذاري، المصدر السابق ص 24.

3 - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 14، ابن عذاري، المصدر السابق ص 24. ابن أبي زرع، المصدر السابق ص 135. الناصري، المرجع السابق ص 12.

4 - ابن أبي الزرع، المصدر السابق ص 135.

5 - عصمت عبد الطيف دندش، المصدر السابق، ص 105.

عليه أنه أتى له بكل ما معه من مال وثياب وشيء من الطعام، لتستعين به على الصحراء، فعلم أبو بكر أن يوسف لن يرجع عن الأمر، ولما كان أبو بكر ورعا تقيا، وهب حياته للجهاد فقد توجه إلى يوسف بن تاشفين بالنصح، وأمره بالعدل وإصلاح شؤون الرعية، وقال له «يا يوسف أنت أخي ، وابن عمي ، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك، وأنا لا غناء لي عن الصحراء، وما جئت إلا لأسلم عليك، ونسلم الأمر إليك، ونعود إلى الصحراء مقر إخواننا، ومحل سلطاننا»¹، يظهر أن رأي زينب النفزاوية كان صحيحا لأن الأمير أبا بكر عمد إلى إعلان تخليه عن أمر المغرب وأشهد على ذلك من حضر من شيوخ لمتونه وأعيان الدولة، وأمراء المصامدة والخاصة والعامّة، وقام فودعه الأمير يوسف بن تاشفين، وعاد الأمير أبو بكر إلى موضع نزوله في أغمات استعدادا للرحيل إلى الصحراء، بينما اتجه يوسف إلى مراكش موضع ملكه²، فلما وصل إليها، بعث إلى الأمير أبي بكر بهدية عظيمة³، سر بها أبو بكر، وقال « خير كثير، ولم يخرج الملك من بيننا ولا زال عن أيدينا»⁴، أعطى الأمير أبوبكر من الهدية التي أتته إلى كل جيشه ومن حوله، ورجع أدراجه إلى الصحراء، لاستكمال جهاد السودان⁵.

قام الأمير يوسف بن تاشفين بجهود كبيرة حتى تمكن من بسط نفوذ المرابطين في المغرب الأقصى كله، ويخضع كل قبائله فلم يكن من السهل عليه أن يتنازل عن ثمرة هذه الجهود، بل انه كان يحاول أن يستميل إليه إخوانه في الصحراء، ففي الوقت الذي كان يكتتب فيه الأمير أبي بكر بكل ما يصنع، أثناء وجوده في الجنوب، يعيد إلى الصحراء أمنها، ويجاهد في السودان، كان يوسف بن تاشفين يكتب إلى بعض إخوانه

1 - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص225.

2 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 15 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ص 25.

3 - هدية الأمير يوسف بن تاشفين احتوت على خمسة وعشرون ألف دينار من الذهب، سبعون فرسا، ومائة وخمسون من البغال، والكسى الفاخرة، وخمسمائة من البقر... للمزيد أنظر: ابن عذاري، المصدر نفسه، ص26.

4 - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 16.

5 - ابن أبي زرع ، المصدر السابق ص 135.

سرا، دون علم أبي بكر ، يحضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ويعددهم بالخير، حتى لقد وصل منهم جماعة كبيرة¹.

ب - حملت الأمير أبو بكر بن عمر على إمبراطورية غانة وجوارها² 469 هـ- 1076 م:

توجه الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء، ليزيد بها الاستقرار حتى يضمن المزيد من الجند والقوة اللازمين لتعزيز قدرات المرابطين، و يستعد بكل جهوده للتوسع في بلاد السودان، وكانت إمبراطورية غانة الوثنية هي الهدف المباشر لحملته، الهادفة لنشر الإسلام بين قبائله³.

إن المصادر التي تحدثت عن المرابطين لم تعطي التفاصيل التي تبين الأحداث التي جرت أثناء حملة الأمير أبي بكر بن عمر، كما أنها لم تذكر أية تفاصيل عن مسيرة جهاد الأمير أبي بكر خلال فترة زمنية امتدت لأربعة عشر عاما والتي انتهت بسقوط إمبراطورية غانة سنة 469هـ/1076 م.⁴

1 - ابن عذاري ، المصدر السابق. الصفحة نفسها .

2-هناك نظرية أخرى حديثة تنفي ما انتشر على نطاق واسع عن غزو المرابطين لغانة المسلمة أن ذاك وقد اقتبست شطرا من دراسة أجراها د. حسين سيد عبد الله مراد - معهد البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة تحت عنوان الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (خلال ق 2 - 6 هـ / 8 - 12 م) " والجدير بالذكر أن علاقة المرابطين بدولة غانة ظلت ودية فلا مجال لتصديق الذين زعموا بالغزو المرابطي لدولة غانة من المؤرخين القدامى أو المحدثين، ويدعم هذا الاتجاه الراض للغزو المرابطي لغانة، المؤرخ جون هونويك Hunwick الذي ينفي دور حركة الجهاد المرابطي في الصحراء في انتشار الإسلام جنوب الصحراء كما يقول: " إن الدراسة الدقيقة للمصادر قد شككت حتى في غزوه لغانة القديمة، ذلك الغزو الذي ذكره ابن خلدون. لهذا فإن الاتصالات السلمية، لا الجهاد هي أساس نجاح المرابطين في نشر الإسلام في جنوب الصحراء " . أما المؤرخ هيسكت Hisketi فيساير سابقه ويقول أيضا: " أصبح هناك اعتقاد وميل متزايد بأن هذا الغزو لم يحدث أبدا، وأن هاتين الدولتين كانتا دائما علي علاقة ودية. وأن المرابطين أقنعوهم بوسائل سلمية باعتراف الإسلام السني دينا لدولتهم . " كما تصدي الدكتور أحمد الشكري في دراسة قيمه لقضية الغزو المرابطي لغانة ، فعرض لمراحل تشكيل الرأي في صحة الغزو، وقام بدراسة نقدية للمصادر المعتمدة في تزكية الرأي السائد و انتهى من هذه الدراسة بالقول: " لقد حان الوقت للتخلص من وهم الغزو المرابطي لمملكة غانة " .

3- ذكر صاحب الحلل الموشية (ص 7) أن أهل غانة اسلموا عام 469 هـ عند خروج الأمير يحي ابن الأمير أبي بكر ابن عمر إليهم.

4- فيج جي دي، تاريخ غرب أفريقيا،ترجمة السيد يوسف نصر و بهجت رياض صليب، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص49.

بل لقد أغفلت تماما جهاد الأمير في السودان، ولم تذكر إلا سنة وفاته، ويبدو أن أحداث المغرب الأقصى ومن بعدها جهاد المرابطين في الأندلس قد طغت على أحداث الجنوب، فشغلوا بتدوين أحداث الأندلس، لأنها كانت على ما يبدو أكثر أهمية فعنوا بذكر تفاصيلها، وغفلوا عن أحداث السودان.

قاد الأمير أبو بكر بن عمر جيشا من المرابطين، وكان ابنه الأمير أبو يحيى يقود جيشا آخر¹، وكانت وجهة الجيشان إمبراطورية غانة، تقدم المرابطون في أراضي إمبراطورية غانة، فاستولوا على مدنها، الواحدة بعد الأخرى، وكان المرابطون يخبرون أهل البلد، بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وتمكن المرابطون من ضرب حصار على العاصمة "كمبي صالح" حتى سقطت في أيديهم سنة 469هـ/1076م، وقد قتل عدد كبير من السوننكي، واعتنق بقية السكان الإسلام².

وقد أبقى الأمير أبو بكر ملك غانة على العرش تابعا للمرابطين، ويبدو أن هذا الملك قد اعتنق الإسلام، وإلا لما وافق الأمير أبو بكر على تركه يحكم غانة باسم المرابطين³.

قام الأمير أبو بكر كعادة المرابطين بنشر الرابطات وبناء المساجد، فازداد عدد المسلمين، وبعدها تابع الأمير نشر الإسلام في المناطق المجاورة تاركا تسيير شؤون إمبراطورية غانة لابنه أبي يحيى، كما قال صاحب الحل الموشية بن الخطيب: « واسلم أهل غانة وحسن إسلامهم عند خروج الأمير أبي يحيى بن الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني إليهم »⁴.

تابع الأمير أبو بكر فتح بلاد السودان حتى وصل إلى بلاد وانقارة حيث مناجم الذهب، ويذكر بن أبي الزرع ما وصل إليه الأمير أبا بكر من سلطان بقوله. « استقام له

1- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص112.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 7، وأنظر أيضا - فيج جي دي، المرجع السابق، ص49.

3 فيج جي دي، المصدر السابق، ص 50.

4 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص112.

أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان»¹ ، فحمل الكثير من أهل هذه البلاد على الإسلام، فدانوا له، و اخلصوا في نشر الدعوة الإسلامية².

سيطر المرابطون على مناجم الذهب، التي كانت أهم مصادر الثروة في السودان الغربي في ذلك الوقت³ ، كما ازدادت هجرات قبائل الملتمين إلى تلك الأنحاء، فأدى ذلك إلى اختلاط هذه القبائل بأهل المنطقة، وازداد بالتالي عدد الداخلين في الإسلام ، أما الشعوب التي لم تقبل الدخول في الإسلام ، فقد فرت إلى الجنوب أو الغرب⁴.

ج- استشهاد الأمير أبو بكر بن عمر: 480هـ/1087م.

وبينما كان الأمير أبوبكر يصلي، اغتاله أحد الجنود السود بسهم مسموم، فأرداه قتيلا في عام 480هـ/1087م⁵، كانت هذه العملية مدبرة من أحد زعماء قبائل موسى بدهومي الجنوبية، حيث أرسل بعض أتباعه إلى منطقة التكانت ومعه السحرة، والأدلاء لاغتيال الأمير أبوبكر بن عمر، الذي أتى بعقيدة تسخر من السحر، وقوى الطبيعة التي كانوا يعبدونها⁶.

غضبت القبائل السودانية التي دخلت للإسلام على يد الأمير أبوبكر وثار تطالب بدمه من الجناة، واشترطت أن تفتأ عيني جميع أولاد زعيم قبيلة موسى، ولكن هذا الشرط لم تقبل به زعيمة قبائل الداهومي فاشتعلت الحرب بين الوثنيين والمسلمين، ولم تلبث القبائل التي حالفت قبيلة السراكولا المسلمة، المطالبة بدم الأمير أبي بكر أن اعتنقت هي الأخرى الإسلام، وأصبحت قوة جديدة للإسلام ببلاد السودان الغربي، فكانت حادثة

1 - ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ص 136.

2 - الناصري، المرجع السابق ص 100.

3 - الناصري، المرجع السابق ص 100.

4 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص115.

5 - د. حسن احمد محمود، المرحلة الأفريقية من تاريخ المرابطين (المجلة التاريخية المصرية) مجلد 12 عام 64،

1965 ص 166 ، د. عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ص 83 ،أنظر أيضا:عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع

السابق،ص115.

6 - ذكر بن الخطيب،المصدر السابق، ص 16: أن وفاة أبو بكر كانت عام 469 هـ/ 1076 م بينما ذكر بن عذاري

في البيان المغرب ج 4 ص 26: أن وفاته كانت عام 468 هـ/ 1075م.و ذكر النويري في نهاية الإرب ج 22 ص

154 ، أنها كانت عام 462 هـ/1069م بينما اتفق بعض المؤرخين على أن وفاة الأمير أبي بكر كانت عام 480 هـ /

1087م، منهم بن أبي زرع في روض القرطاس ص 136 و ابن خلدون في العبر ج 6 ص 266 و الناصري في

الاستقصا ج 2 ص 24 ود. حسن احمد محمود في قيام دولة المرابطين ص 225 .

مقتل الأمير أبي بكر بن عمر في حد ذاتها قوة أخرى انكثت قوة المسلمين بين قبائل المنطقة¹.

3.4 المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين بالسودان الغربي²: (500/480 هـ – 1106 /1087 م):

استشهد الأمير أبو بكر بن عمر، في وقت جد عصيب بالنسبة لدولة المرابطين، حيث كان الأمير يوسف بن تاشفين منهمكا في ضم بقية بلاد المغرب إلى دولة المرابطين، استتجد به المسلمون في جبهة الأندلس فلبى النداء و اتجه إلى الجهاد، و أرسل إلى الصحراء في طلب الإمداد « فقدمت عليه الوفود، واتاه من بلاد الصحراء ، و القبلة، و الزاب القبائل و الحشود »³.

انتصر المسلمون و المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على النصارى في موقعه الزلاقة في رجب سنة 479 هـ / 23 أكتوبر سنة 1086 م، وكان انتصار المسلمين في هذه الموقعة عظيما، وأصبح للمرابطين هيبة كبيرة بين أهل الأندلس من المسلمين والممالك المسيحية خاصة.

وكانت أولى المضايقات التي قابلت يوسف بن تاشفين بعد وفاة الأمير أبو بكر بن عمر، قدوم الأمير إبراهيم بن أبي بكر بن عمر إلى شمال الصحراء يطلب ملك أبيه، فنزل بخارج أغمات في جموع كبيرة من لمتونه، فلما وصل الأمر الأمير يوسف بن

1 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص116.

2- ظل يوسف بن تاشفين معترفا بإمارة بن عمه أبوبكر بن عمر اسميا حتى وفاته، لذلك لم يظهر اسم ابن تاشفين على قطع النقود إلا بعد عام 480هـ / 1087 م.

3 - ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ص 144 .

تاشفين، أرسل إليه الأمير مزدلي،¹ وكان رجلا فطنا من أهل السياسة، فهدأ الأمير إبراهيم بن أبي بكر، ونصحه بقوله: « إن الملك بيد الله يؤتیه من يشاء، والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا، فان كنت عاقلا، فاطلب منه (يقصد يوسف بن تاشفين) أن يعينك بمال وخيل ترجع بها إلى بلدك، وإن طلبت غير هذا أخاف إن يجعل على رجلك قيادا، ويحبسك عنده عبدا، وما قلت لك ذلك إلا بوجه الشفقة عليك»².

فهم الأمير إبراهيم بن أبي بكر من كلام مزدلي حرصه على عدم إراقة الدماء وأخذ بنصيحته التي تتضمن في طياتها التهديد، باستعمال القوة، وعزم إبراهيم بن أبي بكر على عدم الدخول في صراع مع الأمير يوسف بن تاشفين ولذا أثر السلامة و التمس بعض المساعدات المالية. وقال للأمير مزدلي: « عسى أن تجتمع معه في أمري ، وتبين له حالي »، ففهم الأمير مزدلي أن حركة الأمير إبراهيم بن أبي بكر، يمكن حلها بتقديم المال و الهدايا إليه.³

لم تكن مشكلة تحرك الأمير إبراهيم بن أبي بكر هي الوحيدة التي قابلت يوسف بن تاشفين، بعد عودته من الأندلس، فقد انتهزت بلاد السودان فرصة استشهاد الأمير أبو بكر بن عمر وعودة الأمير إبراهيم بن أبي بكر إلى الصحراء، فأعلنت أسرة السوننكي الملكية الحاكمة استقلال غانة عن الدولة المرابطية.⁴

وأعلنت بعض الولايات التي كانت تابعة لإمبراطورية غانة هي الأخرى الانفصال وكانت أولاها مملكة أنبارة، ثم تبعنها ولايات كانياجا، و ديارا، وأصبحت ممالك مستقلة، بينما بقيت سلطة ملوك سوننكي في غانة، لا تتعدى أوكار، و الباسيكونو.⁵

كون الفولاني المهاجرون من مملكة التكرور أسرة حاكمة في كانياجا المستقلة، إذ استطاع بعض أفراد من قبيلة الصو، التي كانت إحدى قبائل الفولاني، أن تسيطر على

1 - الأمير مزدلي هو ابن عم الأمير يوسف بن تاشفين ، قدمه يوسف على رأس جيش كبير توجه إلى مدينة تلمسان ، واستولى عليها دون قتال ، وكان يوسف بن تاشفين يعتمد عليه في كثير من الأعمال ، وكان حسن السياسة صحيح المذهب ، عارفا بخدمة الملوك:أنظر: . بن عذاري ، المصدر السابق، ص 29 .

2 - ابن عذاري، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

3 - ابن عذاري، المصدر السابق ص 30 .

4- فيج جي دي، المصدر السابق، ص 50.

5 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص123.

كانياجا، وتعلن تكوين مملكة بها، أخذت كانياجا تتوسع، وتستولي على بعض المناطق المجاورة¹.

وكان لهذه الأحداث في جنوب الصحراء و بلاد السودان الغربي أصدائها في المغرب الأقصى و الأندلس، لذلك رجع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الأندلس، حتى يستطيع أن يعيد إلى المغرب و السودان استقراره، ويقضي على هذه الحركات الانفصالية، فقد كان حرصا على استقرار قاعدته الخلفية التي يتدفق منها الجنود الأشداء من الملتزمين، وهذا لا يأتي إلا إذا كان الجنوب بما فيه السودان في حالة استقرار، ولذلك أرسل الأمير يوسف جيوش المرابطين لإعادة الأمور إلى ما كنت عليه، ونجح المرابطون في القضاء على هذه الثورات، وقمع المتمردين من الأهالي².

اندفاع المرابطون بعدها في عهد يوسف بن تاشفين في نشر الإسلام في منتصف القرن 6 هـ/11م، فاعتنق حكام ولاية كانجبا من الماندنغو الإسلام وأخذوا يتوسعون، ويمدون نفوذهم إلى الجنوب و إلى الجنوب الشرقي، وقام سوننكي غانة الذين اعتنقوا الإسلام بنشره في ديارا، و غلم، و مسينا، وبعدها ركزوا خاصة على ديا ومن ديا اتجهت مجموعات مسلمة من الديولا إلى الحدود الشمالية لمنطقة الغابات و هناك أقاموا مراكز إسلامية مثل بيجو، بالقرب من جنوب نهر الفولتا الأسود ومن هناك انتشرت المدن التجارية مثل بوندونكو، و الكونج.

ازداد عدد الداخلين في الإسلام في بلاد السودان الغربي، من عهد أبي بكر بن عمر إلى عهد يوسف بن تاشفين، واعتنق كثير من الحكام وأتباعهم الإسلام طواعية، في مملكة صنغاي و مملكة الكانم و البورنو، فلما حلت سنة 496هـ/1102م أصبحت دولة المرابطين تمتد من حوض السنغال إلى نهر الأبرو³.

عاد الهدوء مرة أخرى إلى الصحراء وبلاد السودان الغربي، ورجعت غانة لتبعية المرابطين، ويظهر ذلك من الرسالة التي حملها القاضي أبو محمد بن العربي المعافري

1 - عصمت عبد اللطيف دندش، نفس المرجع، نفس الصفحة.

2 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص123.

3 - الأبرو: نهر أبرو، أكثر أنهار إسبانيا منسوبا. يبلغ طوله 928 كم تبلغ مساحة حوضه 80.093 كم². يقع بشمال

شرقي إسبانيا ينبع من جبال كانتابريان ويجري نحو الجنوب الشرقي على طول حضيض جبال البرانس مارا

بسراجوسه ليصب في البحر المتوسط بدلتا واسعة.

وابنه أبو بكر الأندلسي قاضي إشبيلية، إلى الخليفة العباسي في بغداد، إذ انه أشار إلى أن سلطان يوسف بن تاشفين قد امتد إلى الجنوب «مما يلي بلاد غانة، وهي بلاد معادن الذهب»¹.

وقد تحدث ابن سعيد(610-685هـ) عن إسلام ملك غانة وتحمسه لنشر الإسلام (كانت هذه الزيارة بعد استقلال غانة) فقال : « وهو كثير الجهاد للكفار و بذلك عرف بيته» فانتشر الإسلام بين أهل البلاد و كثرت المدارس.²

كما أن الأمير يحيى بن أبي بكر بن عمر، كان موجودا في منطقة السودان يجاهد هناك، ولم يذكر شيئا عن موت هذا الأمير،³ مما يرجح أنه كان حيا في ذلك الوقت، ولم ينقصه لإخماد الثورات إلا المال والإمداد، وهذا ما حصل عليه أخوه الأمير إبراهيم من الأمير يوسف بن تاشفين، مما يرجح هذا الرأي أيضا سرعة عودة إبراهيم بن أبي بكر إلى الصحراء واقتناعه السريع بكلام الأمير مزدلي بالعودة .

لم يعيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ليهنأ بهذه الانتصارات فقد أصابه المرض في سنة 498 هـ/1104م، فلم يزل مرضه يشتد حتى توفى في مستهل سنة 500 هـ/1106م، ودفن بقبر بسيط في حاضرة ملكه⁴.

كان يوسف بن تاشفين وفيما لمبادئ عبد الله بن ياسين، كما مثلها في رباطه، فقد حمل لواء الجهاد الذي رفع في الرباط، في مطلع شبابه ثم في أودغشت، و عند ضفاف السنغال والنيجر، ثم في أرجاء المغرب الأقصى، فقد استطاع يوسف بن تاشفين أن يصنع وحدة امتداد من السودان الغربي إلى الأندلس، حتى خطب له على أكثر من ألفي منبر⁵، وكان بن تاشفين دائم التفقد لعماله ورعيته، محبا للفقهاء، والعلماء مقربا لهم،

1 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 172.

2 - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 173.

3 - كان يعرف باسم ابن عايشة و بعد مبايعته الأمير علي بن يوسف تاشفين عينه واليا على فاس الحلل الموشية

ص 7 . ابن عذاري ، المصدر السابق، ص ص 17-48.

4 - ذكر عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 170) أن يوسف ابن تاشفين توفي سنة 493 هـ / 1093 م بينما

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت سنة 500هـ / 1106 م ، ابن عذاري في البيان المغرب ج 4 ص 45، وبن الخطيب في الحلل الموشية ص 60 ، بن أبي الزرع في روض القرطاس ص 156. و الناصري في الاستقصا ج 2 ص 57.

5 - ابن أبي زرع، المصدر السابق ص 136 ، انظر الخريطة 6 ص 115 .

يستمتع لرأيهم، فأمر له بأجور من بيت المال طول أيامه، وكان يشجع بناء المساجد، ويأمر بتشبيدها في جميع البلاد، إذ كان يدرك أهميتها ليس فقط كبيوت للعبادة، ولكن أيضاً كمدارس، لتعليم القرآن والسنة.¹

لقد كان من نتيجة هذه الحركة الواسعة الشاملة، والجهود الكبيرة التي قام بها المرابطون، والقبائل الزنجية التابعة لهم، أن أصبح الإسلام يمتد من المحيط غرباً إلى كانم وبورنو شرقاً، ثم انضمت إلى الإسلام مملكة صنغاي، وكان أول ملك اعتنق الإسلام في هذه المملكة يسمى زاكاسي، وهو الملك الخامس عشر من أسرة زا من قبيلة لمطه إحدى قبائل الملتمين، وقد اسلم في سنة 400 هـ / 1009 - 1010 م، أي قبل حركة المرابطين بفترة قصيرة، وقد اصطلح على تسميته في لغة الصنغاي باسم مسلم دام ويديل هذا الاسم على أنه دان للإسلام بمحض إرادته، وليس عن طريق القوة.²

4.4 السودان الغربي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين: (538/500هـ - 1143/1106م).

ورث الأمير علي من أبيه يوسف بن تاشفين دولة مترامية الأطراف، ولم يكن بعد الأمير تجاوز الثالثة والعشرين سنة، ورغم ذلك اجتمعت عليه الدولة المرابطية³، ويقول ابن أبي زرع: « وملك من البلاد ما لم يملكه والده لأنه وجد البلاد هادئة، والأموال وافرة، والملك قد توطأ، والأمور قد استقامت ».⁴

1 - الحلل الموشية ص 59 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ص 46 ، ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ص ص 137-141 .

2 - السعدي ، تاريخ السودان ص 3

3 - لم يكن من عادة المرابطين احترام حق الابن الأكبر في المنادة به ولياً للعهد، ويوسف ابن تاشفين نفسه لم يحترم هذا الحق عندما وليا الحكم بعد ابن عمه أبا بكر بن عمر الأمير اللمتوني، ولم يحترم حق إبراهيم بن أبي بكر عندما طلب ملك أبيه ، كما أن يوسف لم يتقيد بتولية ابنه الأكبر، فعين علياً خلفاً له ، مع أنه كان أصغر سناً من ولديه تميم الولد الأكبر ، و المعز بالله ولده من زينب. الحلل الموشية ص 61. ابن أبي الزرع، ابن خلدون ، المصدر السابق ص 388.

4 - ابن أبي زرع، المصدر السابق ص 157

اتبع الأمير علي بن يوسف على خطى والده، في الذود عن الإسلام، والجهاد في سبيل الله، وحماية الدولة، واستعدادها الدائم للجهاد¹، وخاصة في الأندلس، فقد وجد في هذه الجبهة، ما يهدد المسلمين، لذلك وضع منذ اعتلائه العرش نصب عينيه الجهاد في الأندلس هذا في بداية أمره².

وتعتبر فترة حكم الأمير علي بن يوسف شاهد على الصبغة الأندلسية، في دولة المرابطين، فإن الأندلس في ذلك الوقت لم تؤثر في مراكش من عدة نواح فحسب، وإنما قصد مراكش عدد كبير من الأندلسيين ليقموا في عاصمة الملك، وقد ذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي هذا: «ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته، يستدعي أعيان... جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك»³.

و بهذا تغير بلاط القصر وتغيرت الحاشية فمن بدو صنهاجة و علمائها تحول، إلى مجلس عامر بالعلماء والفقهاء وغيرهم من أهل الأندلس والمغرب، ولا شك أنه كان الأندلسيين رأي مسموع و مشورة معمول بها، كما أنهم لم يكونوا بمعزل عن القرار الذي اتخذته الأمير علي بن يوسف بأن يحيط نفسه في مراكش بفرقه من الجنود المسيحيين، وهذه كانت الغلطة الأولى و زاد عنها بأخرى وذلك بتكليف بعض ضباط هذه الفرق بأعمال ذات تأثير خطير، ومن بينها جباية الضرائب، و يذكر ذلك بن الخطيب: « أول من استعمل الروم بالمغرب، و اركبهم وقدمهم على جباية الضرائب

4. »

يبدو أن لنشأة علي بن يوسف، تأثير كبير عليه، فهو لم يكن صحراويا قحاً، كما كان أبوه من قبل ولم يولد في الصحراء ولم يعرف معنى البداوة، إنما ولد في مدينة سبته الساحلية على البحر، من أمة مسيحية، وتلقى ثقافة أندلسية بحتة منذ نعومة أظفاره⁵،

1 - عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص 171 .

2 - عبر علي بن يوسف إلى الأندلس في نهاية سنة 500 هـ / 1106 م وهي سنة التي خلف فيها والده فأراد تنظيم حكم المرابطين، لمدافعة المماليك المسيحية، ثم تتابعت حملات المرابطين خلال أعوام كثيرة، لم يحالفها توفيق أحيانا، و تصاب بالفشل أحيانا أخرى إلى أن وجود الجيوش المرابطية على الحدود كفل للأندلسيين أمانا لم يكونوا يعرفونه منذ أمد بعيد.

3 - عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص 164.

4 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص69.

5 - ابن أبي الزرع، المصدر السابق ص 157

وامتد هذا التأثير الأندلسي إلى بلاد السودان الغربي، حيث ظهرت آثاره في الحياة العامة أيضا.¹

ولما كانت دولة المرابطين أساسها ديني، فقد قرب أمراؤها إليهم الفقهاء و العلماء، ليمنحوا الدولة الصبغة التي يؤثرونها، فارتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل، فكان علي بن يوسف « لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضااته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرا، ولا بيت ... في صغير من الأمور ... فبلغوا في أيامه مبلغا عظيما، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس »².

لكن الفقهاء كانوا متجمدين عند آراء المذهب المالكي، ولم يسعوا إلى التجديد، زد على ذلك أنهم نالوا ثروات ضخمة، ومكاسب كبيرة أثارت الناس عليهم، وكان من الطبيعي أن ينتهز منافسوهم فرصة ضعف دولة المرابطين، و يعلنوا السخط على الأمر الواقع.³

استغل المهدي بن تومرت⁴ كل هذه المآخذ على حكم المرابطين وأخذ يشيع دعوته بين القبائل، فالتف حوله عدد كبير خاصة من قبائل المصامدة.⁵

و في نفس الوقت ظهرت الخلل في الدولة المرابطية، وظهرت أطماع كبار أمراء المرابطين الذين كانوا يتولون المناصب الهامة في أنحاء الدولة فاستبدوا بالأمر، ولم يعودوا يرون في أميرهم علي بن يوسف الكفاءة، وأصبحوا يصرحون بذلك، « فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين، وأحق بالأمر منه »⁶.

1 - عصمت عبد الطيف دندش، المرجع السابق، ص132.

2 - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص 171.

3 - عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص172.

4 - المهدي بن تومرت: هو عبد الله بن تومرت السوسي الهرغي المصمودي، مؤسس دولة الموحدين، ويدعى بالبربرية أمغار، وبالعربية الشيخ، نشأ فقيرا ومشتغلا بطلب العلم، ارتحل إلى المشرق، حيث التقى بمشايخ العلم، وأخذ عنهم علما كثيرا، ونبغ في ذلك، ولازم الإمام أبو حامد الغزالي، للمزيد أنظر، المصدر السابق، ص 172-180.

5 - ابن أبي الزرع، المصدر السابق ص 176 .

6 - عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص 177.

امتد هذا الخلل إلى الصحراء أيضا، فخرجت الحزازات القبيلة القديمة، التي كان المرابطون قد أضعفوها، فانتهزت قبائل الملمثيين هذه الفرصة مثل قبيلة مسوفة ولم تعد تعمل تحت رئاسة أي زعيم من زعماء لمتونه، و كان هذا التمرد من مسوفة، يعتبر كارثة تهدد الدولة المرابطية في الجنوب إذ كانت مسوفة و لمتونه تمثلان العمود الفقري للجيش المرابطية، وأي خلل يحدث بين هذه القبائل لن يؤدي فقط إلى القضاء على نفوذ المرابطين في الجنوب، بل سيهدد قوة المرابطين في الشمال، إذ انه علاوة على الاضطرابات في الجنوب فسوف يتوقف إمداد القوات الشمالية بالجيش.¹

وانتهزت الفرصة أيضا قبيلة جدالة، وكانت دائمة التمرد، منذ بداية حركة المرابطين، فكلما أحست بانشغال المرابطين في جبهة من الجبهات، حاولت الانقضاض على القبائل الملمثة الأخرى.

ولما كانت دولة المرابطين قائمة على قاعة الجهاد، فكانت تكاليف الحرب تأتي على معظم دخل الدولة، علاوة على أن أمراء المرابطين لم يكونوا مثل أمير المسلمين في تعففه عن أموال الناس، وقد نقل عصمت عبد الطيف دندش ذلك مما كتبه ابن عبدون، صاحب رسالة الحسبة، إذ يأسف ويقول: « إن الرئيس العادل الساعي إلى الخير، المرتبط بالناموس أصبح يلتمس، فلا يوجد » ووصول الأمر إلى استبدال بعض المرابطين في وظائفهم، و كان يخشى محاسبتهم، و لذلك نصح ابن عبدون في رسالته أن تكون هناك طبقة من الموظفين منهم صاحب المدينة، وصاحب المواريث ، والقاضي و المحتسب، بان يكونوا من أهل البلاد « فإنهم اعرف بأمر الناس ، وطبقاتهم ، وهم أيضا اعدل في الحكم وأحسن سيرة من غيرهم، وهم أنفع للسلطان و أوثق، لأن الرئيس يستحي أن يحاسب في عمله مرابطا، أو ينكر عليه شيئا مما قد فشا له عنده في الخطة التي ولاه ». و يبين الكلام ابن عبدون مدى النفوذ الذي كان يتمتع به المرابطي، حتى لنرى أن كلمة (مستحي) في هذا النص تخفيف للواقع الذي كان يحدث في ذلك الوقت.²

وللنساء في مجتمع لمتونه الصحراوي منزلة حرصن على أن يحتفظن بها في بلاط المرابطين، وأتاحت لهن حرية نسبية، التي لم يفقدنها على الإطلاق عند رحيلهن عن

1 - عصمت عبد الطيف دندش، المصدر السابق، ص135.

2 - عصمت عبد الطيف دندش، المصدر نفسه، ص136.

الصحراء، والتدخل في شؤون الدولة، والتمتع بالسلطة التي استطعن الاحتفاظ بها، وأن تكون كلمتهن مسموعة.

وهكذا انهارت القاعدة التي قامت عليها دولة المرابطين، وهي التجديد الديني و الجهاد، وابتعدت المسافة بين فنتي الإدارة العليا ويمثلها أمير المسلمين، وحوله الفقهاء، و الفئة الثانية، ويمثلها الولاة، وهم مستبدون أو ضعاف تتصرف النساء في شؤون ولاياتهم، وكان معنى ذلك أن أية ربح قوية تهب على الدولة سوف تعصف بها، وتقضي عليها، وهذا ما حدث بالفعل عند ظهور دعوة الموحدين.

وانتهزت بلاد السودان الخلاف بين القبائل الأساسية في بناء دولة المرابطين في الصحراء، وأعلنت استقلالها، فاستقلت مملكة غانة، وأصبح ملكها يخطب لنفسه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي في بغداد.¹

بينما أخذت مملكة الصوصو في التوسع على حساب مملكة غانة حتى استطاعت في النهاية أن تقضي عليها، وتضمها إلى أملاكها²، وفي نفس الوقت كانت مملكة مالي الناشئة من ولاية كانجابا تتوسع هي الأخرى في اتجاه الشمال والجنوب، ومنذ تلك الفترة لم يستطع المرابطون استرجاع نفوذهم في بلاد السودان الغربي نظرا لانشغالهم بالجهاد في الأندلس وبعده في إخماد ثورة الموحدين، إلى أن سقطوا على يدهم.

ومما سبق ذكره يمكن القول:

حدث صراع على السلطة بين الأمير أبوبكر بن عمر و بن عمه الأمير يوسف بن تاشفين، ويبدو أن يوسف بن تاشفين استغل ورع بن عمه أبوبكر عن سفك دماء المسلمين فركب الأمر واستأثر بحكم المغرب.

1 - الإدريسي، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ص 6.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق ص 413 .

أظهر الأمير أبوبكر بن عمر أنه أكثر إخلاصاً وتشبثاً بمبادئ شيخه عبد الله بن ياسين، فأظهر الشجاعة الحقة، فجاهد في بلاد السودان لسنوات عديدة دون كلل أو ملل حتى استشهد، لأنه من خلال موقفه المتنازل و المتراجع أمام يوسف بن تاشفين يعتبر جينا في نظر الكثيرين.

أسهم جهاد المرابطين في بلاد السودان في دخول قبائل كثيرة من بلاد السودان الغربي في الإسلام، وبدورها قامت تلك القبائل على الفور بالجهاد لنشر الإسلام رغم حداثة عهدا به.

لم تكن ثورات أهل السودان الغربي ردة عن الإسلام وإنما يبدو أنها رغبة في الاستقلال السياسي بدليل أنه بعد سقوط إمبراطورية غانة و إضعافها سياسيا و عسكريا ازداد عدد الداخلين في الإسلام و قامت غانة بدور كبير في نشر العقيدة الإسلامية في منطقة السودان الغربي حتى اشتهر عن أهل غانة و أغلبهم من السوننكي حماسهم للإسلام إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق في حياتهم بصفة عامة.

الخاتمة :

- ثبت علماء المالكية في القيروان المذهب المالكي وقام الحماديون و الزيريون بالقضاء على الشيعة في أفريقية و المغرب الأوسط.

- كانت دولة المرابطين هي نتاج حركة إسلامية تجديدية على الرغم من التحفظات الكثيرة، أسسها وقادها روحيا عبد الله بن ياسين في البدايات.

- اقتلع المرابطون من بلاد المغرب وجنوب الصحراء الهرطقات التي لحقت بالإسلام وخاصة برغواطة.

- أسهم المرابطون في بقاء حكم الإسلام للأندلس بعد واقعة الزلاقة الشهيرة لفترة طويلة.

- تمخضت جهود المرابطين عن إسلام شعب التكرور الذي كان أول الزنوج الذين اعتنقوا الإسلام في حركة المرابطين الأولى في أيام الشيخ عبد الله بن ياسين فعمل التكرور بدورهم على متابعة الدعوة إلى هذا الدين و أصبحوا دعاة للإسلام بين قبائل الولوف و الفولبي و الماندنجو و نشروا المدارس الإسلامية في السودان الغربي.

- اندفع المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين في نشر الإسلام في منتصف القرن 6 هـ/11م في السودان الغربي فاعتنق حكام ولاية كانجابا من الماندنجو الإسلام وأخذوا يتوسعون، ويمدون نفوذهم إلى الجنوب و إلى الجنوب الشرقي فتكونت بعد ذلك من هذه الأراضي إمبراطورية مالي.

- انتشر سوننكي غانة الذين اعتنقوا الإسلام في اتجاه ديارا، و غلم، و مسينا، واتجهوا خاصة إلى ديا ومن ديا تحركت مجموعات من الديولا الذين حملوا الإسلام إلى الحدود الشمالية لمنطقة الغابات و هناك انشئوا مراكز إسلامية مثل بيجو، بالقرب من جنوب نهر الفولتا الأسود ومن هناك انتشرت المدن التجارية مثل بوندونكو، و الكونج.

- أسهم المرابطون في نشر الإسلام و دحرهم للوثنيين بدليل أنهم تركوا في تاريخ الإسلام في المنطقة الواقعة بين السنغال و النيجر و على ضفاف هذين النهرين آثارا عميقة.

- كانت فترة القرن الحادي عشر من أزهى فترات انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي.

- أسس المرابطون ببلاد السودان الغربي الكثير من المساجد و المدارس و نقلوا إليهم التمدن والحضارة.

- أسس المرابطون لقيام كيانات و دول في غرب أفريقيا كان محور وجودها هو الإسلام كالسوننكي، الصوصو، و الماندنجو، و الصنغاي.

- على الرغم من انفصال الممالك السودانية عن دولة المرابطين، إلا أن الصلات الطيبة لم تنقطع بينها وبين دولة المرابطين، فقد استمرت العلاقات الثقافية والتجارية.
- لم يتوقف انتشار الإسلام باستقلال هذه المناطق، بل استمر انتشاره على يد قبائل السودان، التي قامت بالدور الذي كان يقوم به المرابطون.

الملاحق

قائمة الملاحق:

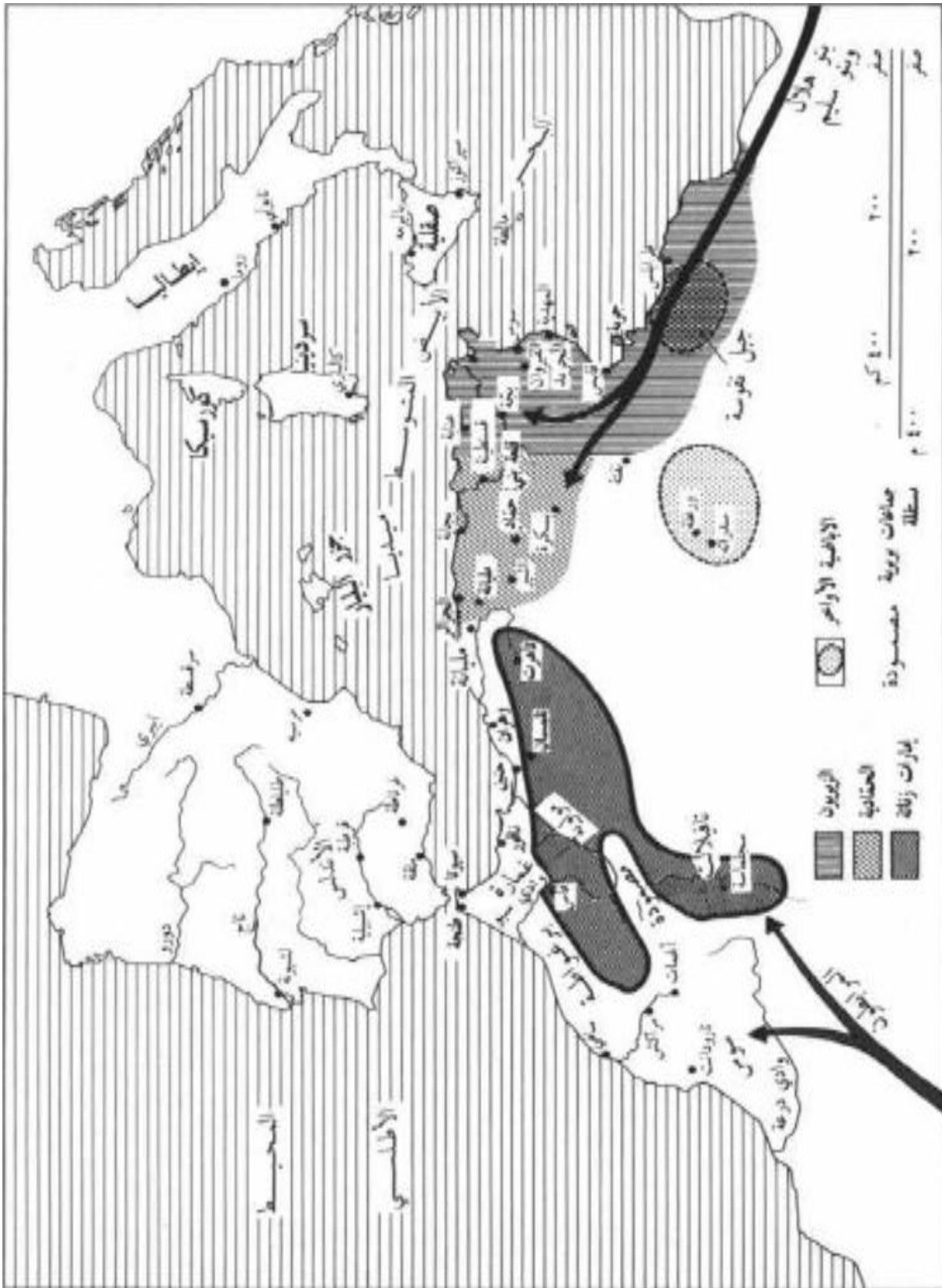
وضعنا مجموعة من الملاحق في البحث، لتكملة ما جاء في مضمونه قصد إيضاح الأحداث قدر ما أمكن، وإكمال المضمون العلمي لنعطي صورة أشمل وأكثر دقة.

الملحق (1): خريطة توضح أوضاع بلاد المغرب الإسلامي المغرب في النصف الأول من القرن 5هـ/ القرن 11م عند قيام دولة المرابطين.

الملحق (2): مضارب قبائل الملتهمين و قبائل السودان الغربي خلال القرن 5هـ.

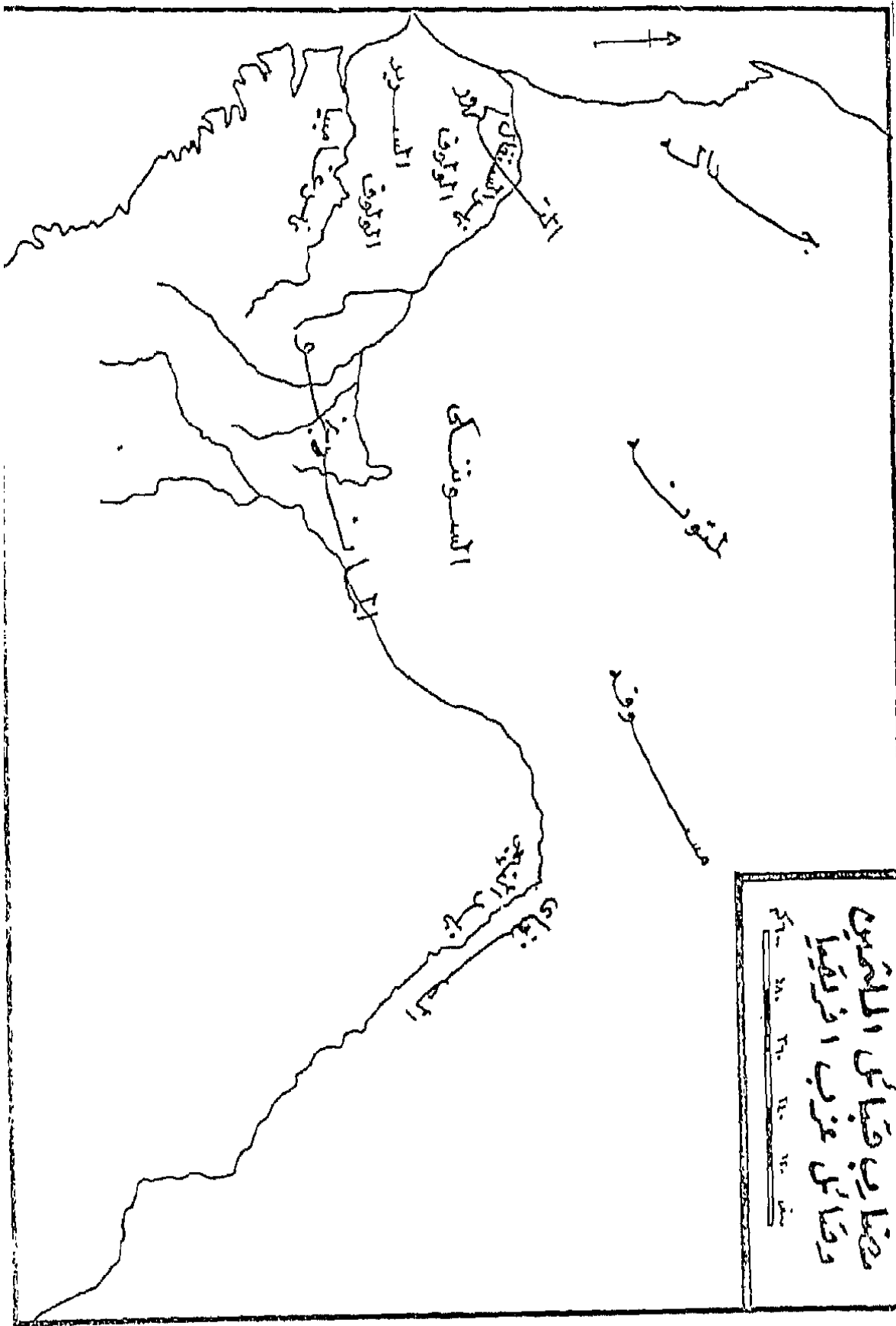
- الملحق (3): إمبراطورية غانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة ميلادي.
- الملحق (4): مدن السودان الغربي في القرنين 5 و6 هـ/11 و12 م.
- الملحق (5): المحاور التجارية(صلة أفريقيا بعالم الإسلام عبر المغرب) ما بين القرن 4 و11هـ/ 10 و 16 م.
- الملحق (6): بلاد السنغال في عصر المرابطين.
- الملحق (7): مراكش حفريات قصر المرابطين الأول.

الملحق: (1).

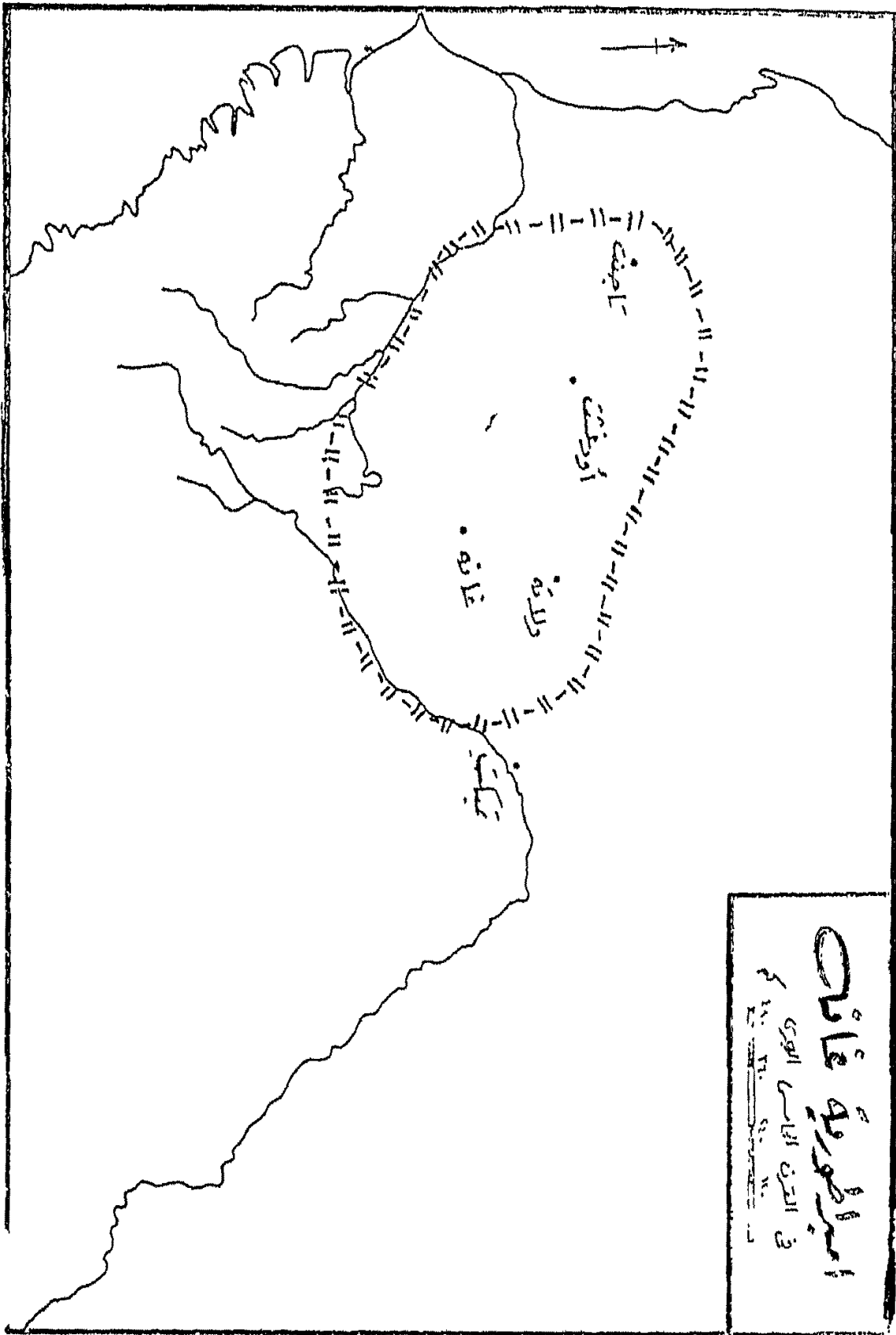


إيفان هريك وجان دافيس، المرجع السابق، ص 351.

الملحق: (2).

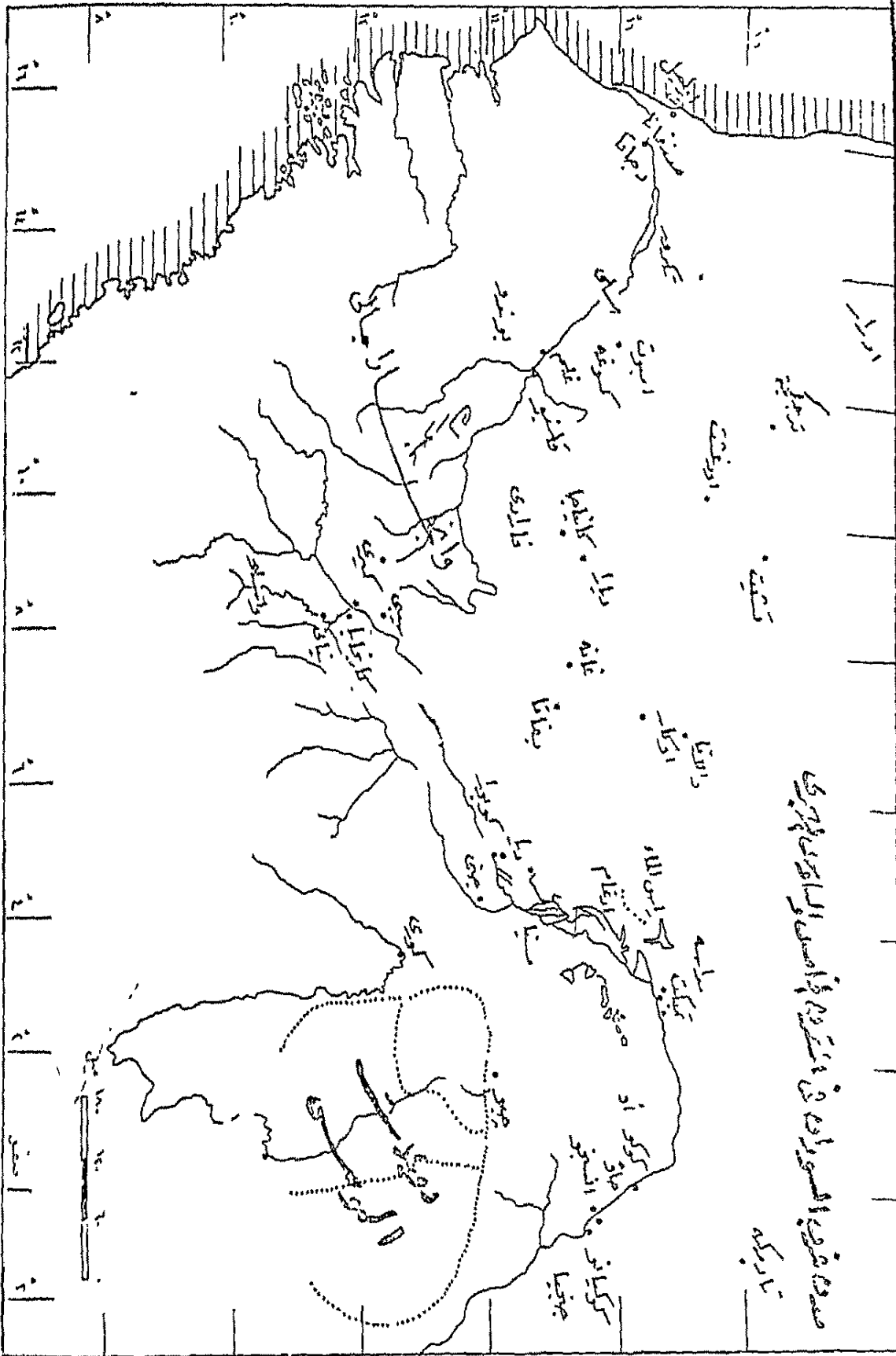


الملحق: (03)



د. عبد الطيف دندش، نفس المرجع ، ص 109.

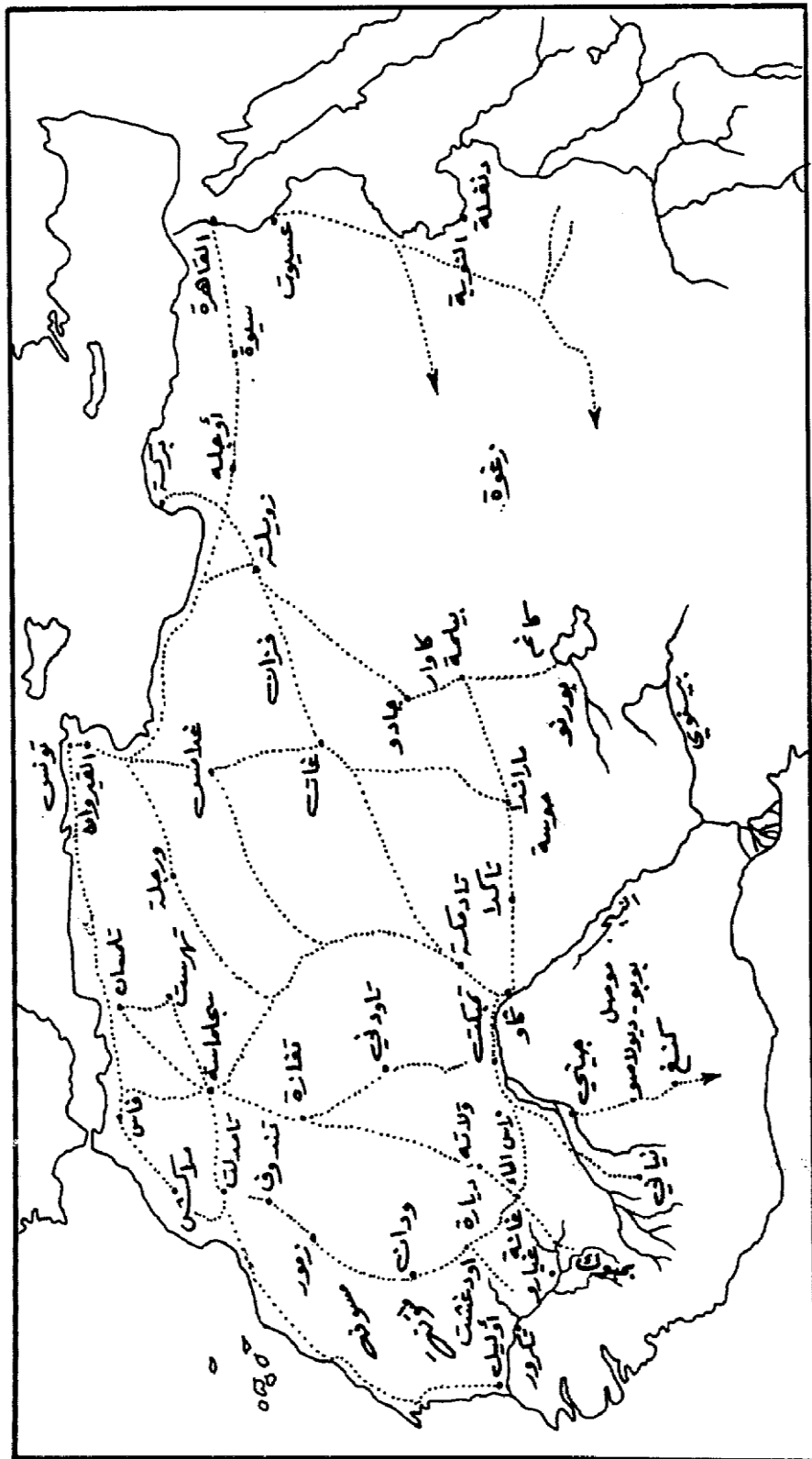
ملحق: (04)



د. عبد الطيف دندش، نفس المرجع ، ص 124.

صلة إفريقيًا بعالم الإسلام عبر المغرب

ملحق: (05)



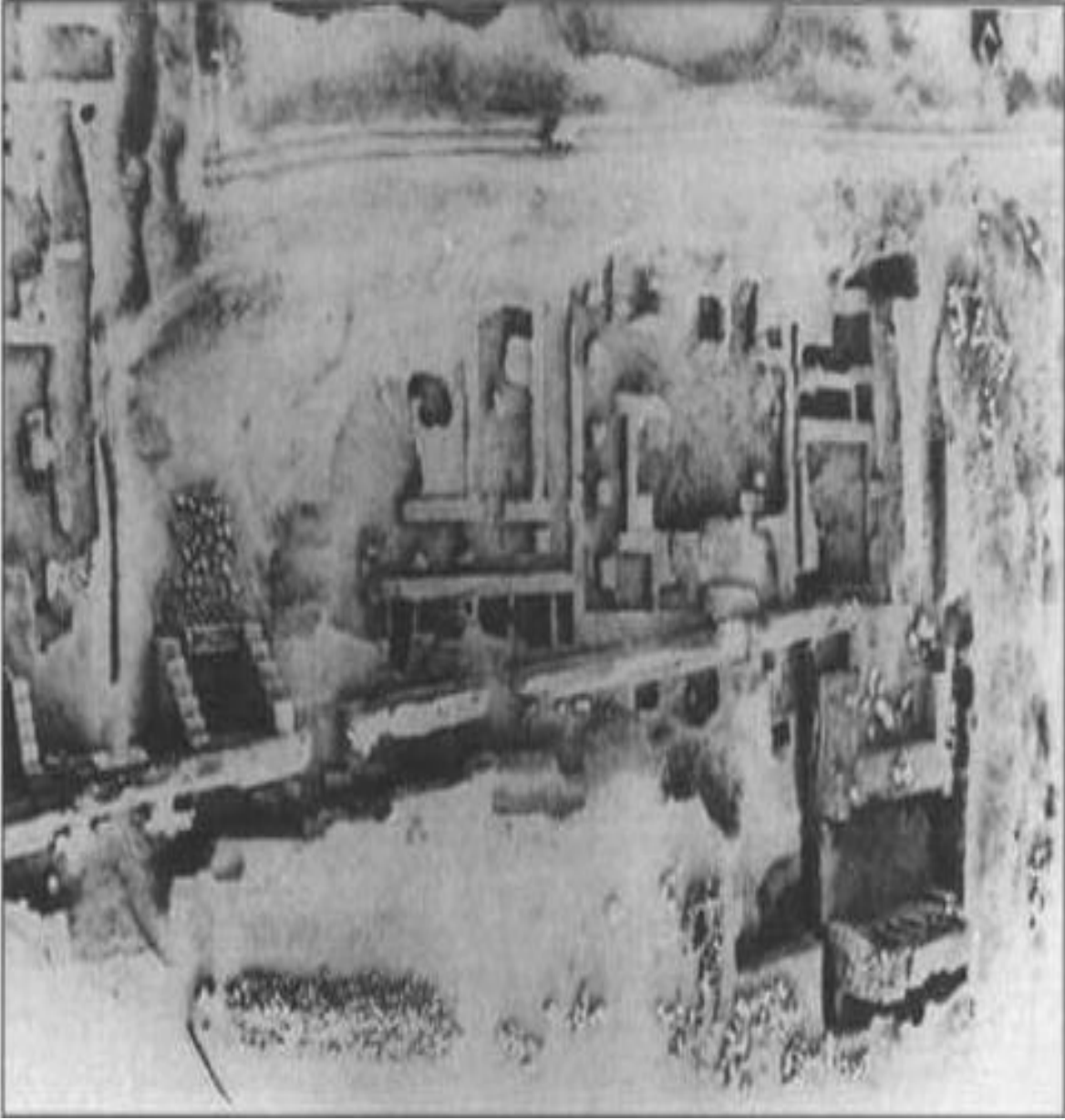
المصاحف التجارية الرئيسية ما بين القرن العاشر والسادس عشر، عد وثائق المركز الوطني للبحث العلمي - باريس

الملحق: (6)



تاريخ أفريقيا العام-اليونسكو-المجلد3،بلاد السنغال في عصر المرابطين ص 395.

ملحق (07)



تاريخ أفريقيا العام-اليونسكو-المجلد3،مراكش حفريات قصر المرابطين الأول ص 384.

الفهرس

الإهداء.....	3
شكر و عرفان.....	6
قائمة المختصرات	7
المقدمة.....	8
المصادر و المراجع.....	12

الفصل التمهيدي

أوضاع بلاد المغرب والصحراء قبل قيام دولة المرابطين سياسيا، اقتصاديا، دينيا.

الفصل الأول: أصول المرابطون و أوضاعهم قبيل قيام دولتهم.

أصول القبائل الملتمة.....	28
مضارب القبائل الملتمة و زمن اعتناقهم الإسلام.....	32
الأوضاع السياسية لصنهاجة الصحراء.....	34

الفصل الثاني: انطلاق الدعوة وقيام الدولة.

التقاء يحي بن ابراهيم الجدالي بالشيخ أبي عمران الفاسي.....	39
مراحل تولي عبد الله بن ياسين الدعوة.....	41
المرحلة الأولى: الدعوة بين بني جدالة.....	41
المرحلة الثانية: الإعداد في الرباط و انطلاق الجهاد.....	44
تولي الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني الزعامة و بناء مراكش.....	49

الفصل الثالث: موقع بلاد السودان الغربي وأوضاعها قبيل دخول المرابطين.

موقعها ووصفها الجغرافي.....	55
الأوضاع قبيل دخول المرابطين.....	57
قبائل السودان الغربي.....	57
وضع بلاد السودان الغربي قبيل تدخل المرابطين.....	59

الفصل الرابع: دور المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي.

حملات أبو بكر بن عمر اللمتوني واستشهاده.....	64
حملات الأمير أبو بكر بن عمر لتوحيد المرابطين و غزو غانة(السوننكي) ...	64
حملات الأمير أبو بكر بن عمر على إمبراطورية غانة وجوارها.....	67

70	استشهاد الأمير أبو بكر بن عمر
71	المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين بالسودان الغربي.
75	السودان الغربي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين.
81	الخاتم
83	الملاح
92	الفهر